التطور الدلالى وأثره فى الحديث النبوى كتاب: (النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الاثير أنموذجًا)

بحث مقدم
إلى المؤتمر العلمي الأول
تجديد العلوم العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة
المنعقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق
جامعة الأزهر ٢٠/٣/٢٠٢١

إعـــــداد
الدكتـــور
هانى على عبد العزيز أبو العلا
المدرس بقسم أصول اللغة فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالشرقية

المقدمة

الحمد لله الذى بنعمته تتمُّ الصالحات، وبجوده وكرمه تنفرجُ الكُرُبات، وبعفوه ورحمته ننالُ أعلى الدرجات فى الجنات، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ خير مَن نطق بأفضل اللغات واللهجات، وبعدُ:

فإنَّ التطور الدلالىَّ من الموضوعات المهمة فى علم الدلالة، واللسانيات الحديثة، ويكشف عن جانبٍ مهمٍّ من حياة اللغة التى لا يمكن أن تعيش إلاّ باستعمالها وتداولها على ألسنة أهلها والنّاطقين بها، ووصْل حاضرها بماضيها، ويحتاج المتكلمون بها – مع تطور الحياة وزيادة الاكتشافات والاختراعات– إلى ابتكار ألفاظٍ جديدةٍ يُعبِّرون بها عن معانٍ جديدةٍ لم تكن معروفة من قبل، وبذلك تكون هذه الحاجة من أهم العوامل التى تؤدى إلى تطور الدلالة، فالمتكلمون بلغةٍ من اللغات عندما يستجِدُّ لديهم معنًى جديدًا لم يكن معروفًا من قبل، يحاولون تعيين دالٍّ له من ذخيرتهم اللفظية القديمة، وقد أدَّت كثرة استعمال ألفاظٍ دون غيرها إلى تطورها، فالاستعمال من أكثر أسباب التطور الدلالى أهمية، وهذا شائعٌ فى كل اللغات؛ لأنَّ العوامل الاجتماعية والتغيُّرات التى تواكبها اللغات تفرض ذلك.

وإنَّ كلَّ لغةٍ من اللغات تتطور باستمرارٍ، وهذا التطور يقعُ فى كلِّ حينٍ، والتطور سنةٌ من سنن الله فى الكون، واللغة باعتبارها كالكائن الحى عرضة لهذا التطور، كما قال د/ رمضان عبد التواب:" إنَّ اللغة كائنٌ حىٌّ؛ لأنها تحيا على ألسنة المتكلمين بها وهم من الأحياء، وهى لهذا تتطور وتتغير بفعل الزمن كما يتطور الكائن الحى ويتغير، وتخضع لما يخضع له الكائن الحي فى نشأته ونموه وتطوره، وهى ظاهرة اجتماعية، تحيا فى أحضان المجتمع، وتستمد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده، وسلوك أفراده، كما أنها تتطور بتطور هذا المجتمع، فترقى برقيه، وتنحط بانحطاطه"(١).

١– التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه– د/ رمضان عبد التواب– ص٩– مكتبة الخانجى– ط٣– ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

وقد شغلتْ فصاحةُ النبى ﷺ وبلاغته أذهان العلماء عامةً، واللغويين خاصةً؛ لأنه ﷺ قد أوتىَ جوامع الكلم، فعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: [أوتيتُ جوامع الكلم وجُعلت لىَ الأرض مسجدًا وطهورًا](١)، والتاظرُ فى سنة النبى ﷺ يرى قوةَ ألفاظه الفصيحة، وما اختصتْ به أحاديثُهُ من دقّة التعبير، وإيجاز المعنى مع فصاحة اللفظ، وهى خصوصيةٌ حَبَاها الله ﷻ لنبيِّهِ المصطفى تأييدًا له ولرسالته السامية.

وإنه لمن الشرف أن يكون الإنسان فى معية الله ومصاحبًا لسنةِ رسوله ﷺ، ثم إنَّ شرَفَ كلِّ علمٍ بشرفِ موضوعه، وموضوع بحثى حول ألفاظ سنة النبى ﷺ عامة، والتطور الدلالى لألفاظه خاصةً، واختيارُ مصطلح (التطور) أمرٌ مقصودٌ؛ لإظهار فصاحة النبى ﷺ عامةً، وبيان إعجازه اللغوى خاصةً، مما يدُلُّ على أنَّ اللغة العربية استمدَّتْ فصاحتها من مصدرى التشريع (القرآن الكريم، والسنة النبوية)، والتطور الدلالىّ للألفاظ بين التعميم، والتخصيص، والرقىّ، والانحطاط، والانتقال، قد وقع فى ألفاظ الحديث النبوى الشريف.

ولَمَّا جاء القرآنُ بأفصح لغات العرب، ودان العرب بالإسلام دين القرآن، وجرت السنة النبوية هذا المجرى، فكانت لغة القرآن والسنة أولى بالتدوين والحفظ، وأخذت سنة التطور طريقها فى اللغة الفصحى، منذ خرج العرب من عزلتهم واختلطوا بالأعاجم، ودخل الأعاجم فى سلطانهم، وكان لهم ما للمسلمين العرب، وعليهم ما عليهم من حرية وإخاء ومساواة.

١- مسند الإمام أحمد- تحقيق/ شعيب الأرناؤوط وآخرون- ١٥/٤٤٠- مؤسسة الرسالة- ط٢- ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

وقد أسهم هذا التطور فى الدرس اللغوى عامةً، واللغوى خاصةً، مما دفعنى إلى اختيار هذا الموضوع ليكون نموذجًا لشرح التطور الدلالى، بعنوان: (**التطور الدلالى وأثره فى الحديث النبوى– كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير أنموذجًا**)، وهذا الكتابُ يعدُّ قيمةً وقامةً، ولم لا؟ فهو يتعرضُ لألفاظ الحديث النبوى عامةً، والغريب منها خاصةً، ثم إنَّ ابن الأثير يعدُّ قيمةً علميةً يستحق إفراد شخصيته اللغوية بمصنفاتٍ، فقد حوى كتابه هذا كثيرًا من ألفاظ التطور الدلالى فى الحديث النبوى، مستعينًا فى ذلك مما ذكرته المعاجم اللغوية وكتب اللغة الأخرى.

أهمية الموضوع:

إنَّ التطورَ الدلاليَّ أحدُ جوانب التطور اللغوى، وميدانُهُ الكلمات ومعانيها، وهذه المعانى تتغيرُ وتتطورُ وفق تطور العصور، واللغةُ فى حاجةٍ للوقوف على هذا التطورِ؛ لمواكبة العصر وفهم تلك اللغة، وبناءً على ذلك فإنَّ:

– دلالة الألفاظ سببٌ فى فهم النصوص الشرعية عامةً، واللغوية خاصةً، وبيان أهميتها فى المجتمع، ومدى تأثيرها فى نمو هذا المجتمع وتطوره.

– التعرُّف على مظاهر التطور الدلالى للألفاظ من تعميمٍ، وتخصيصٍ، ورقىٍّ، وانحطاطٍ، وانتقالٍ لبعض الألفاظ.

– التطور الدلاليُّ ليس قاصرًا على الألفاظ الإسلامية وحدها، بل هناك ألفاظٌ فى الحديث النبوى استشرف بها التطور الدلالى.

– يساعدنا التطور الدلالى فى فهم كثيرٍ من نصوص التراث، وهو الضوء الكاشفُ الذى نُسلطهُ على اللغة؛ لنقفَ على الجديد من ألفاظها، وإهمالُهُ يؤدى إلى فقدان كثيرٍ من ثروتها اللغوية.

أسباب اختياره:

١- خدمة القرآن الكريم، والحديث النبوىّ الشريف عامةً، واللغة العربية خاصةً، فإنَّ الدراسات اللغوية ما قامت إلا حمايةً لهما، وصيانةً لغتهما من الخطإِ واللحن.

٢- الوقوف على مدى أهمية التطور الدلالى فى الخطاب النبوى، والإفادة منه فى تطوير البحث العلمىّ.

٣- الوقوف على فهم ألفاظ الحديث النبوى؛ كى يصلَ الدِّينُ بمفهومه الوسطى السمح إلى عامة الناس بسهولةٍ ويسرٍ دون عنتٍ ولا مشقةٍ.

٤- الوقوف على مدى تعلق الأحكام الشرعية بالقضايا اللغوية، وأهمية العلاقة بينهما، فلا يمكنُ لعلماء الشرع فهمَ النصوص الدينية إلا بفهم الألفاظ اللغوية، والتطورُ الدلالىُّ عاملٌ رئيسٌ فى ذلك.

أهداف البحث:

- خدمة السنة النبوية الشريفة، من خلال التعرض لتطور ألفاظ الحديث النبوى التى تمثلُ منهج الدّين القويم، ومعرفة الألفاظ التى استطاعت الحفاظ على أصالتها بعد مجيء الإسلام.

- بيان إعجاز النبى ﷺ اللغوى، والتعرف على فصاحته ﷺ، وكيفية الاستعانة بهذا الإعجاز فى الرد على شُبَه المستشرقين والملحدين دفاعًا عن الدِّين.

- خدمة اللغة العربية من خلال هذا البحث؛ ليفتح الباب أمام اللغويين بشدِّ أزرهم والتشمير عن سواعدهم، دفاعًا عن لغة القرآن الكريم والسنة النبوية.

- استشراف ظاهرة التطور الدلالى ومدى علاقتها وتأثرها بالحديث النبوى.

منهج البحث:

يعتبر هذا البحث دراسةً وصفيةً تاريخيةً لموضوع التطور الدلالى لألفاظ الحديث النبوى، حيث يعرضُ الباحث اللفظ، ثم يبحثُ عن دلالته التاريخية فى المعاجم اللغوية، ومدى الوقوف على تطور هذه الألفاظ من تعميم، أو تخصيصٍ، أو رقيٍّ، أو انحطاطٍ، أو انتقالٍ لمجال استعمال الدلالة، وصولًا بها إلى المعانى المقصودة فى السنة النبوية.

وسوف أسير في هذا البحث بعرض اللفظة المدروسة في سياق الحديث الذى ذكره ابن الأثير، ثم أقوم بالشرح والتحليل لهذا اللفظ من خلال كتب اللغة، والمعاجم اللغوية، والتفاسير، ثم أعقب بما وافقه ابن الأثير أو خالفه لهم، كلما أمكن ذلك في أغلب الألفاظ المدروسة، وأسأل الله التوفيق والسداد.

الدراسات السابقة:

تناولت الدراسات اللغوية الحديث حول الدلالة وتطورها تارةً، وكتب الغريب تارةً أخرى، ومن هذه الدراسات ما يأتي:

١- الدلالة وتطورها في كتب غريب الحديث في القرنين الثالث والرابع الهجريين دراسة نظرية وتطبيقية- رسالة دكتوراه للباحث: سيد مصطفى محمود إبراهيم- كلية اللغة العربية بالقاهرة- ٢٠١١م.

٢- الدرس الدلالى في كتاب الغريبين في القرآن والحديث لأبى عبيد الهروى ت ٤٠١هـ- رسالة ماجستير للباحثة: هبة عبد الغنى منصور- كلية الدراسات الإسلامية بالقاهرة — ٢٠٠٦م.

٣- دلالة السياق في كتب غريب الحديث في القرنين الثالث والرابع الهجريين — رسالة دكتوراه للباحث: عبد العظيم عبد العليم عبد العال- كلية اللغة العربية بأسيوط- ٢٠١٥م.

٤- النقد اللغوى في كتب غريب الحديث حتى نهاية القرن الخامس الهجرى- رسالة دكتوراه للباحث: عبد الرحمن محمود أحمد- كلية اللغة العربية بالزقازيق- ٢٠١٧م.

٥- كتاب الدلائل في غريب الحديث لأبى محمد القاسم السرقسطى ت ٣٠٢هـ في منظور الدرس اللغوى- رسالة ماجستير للباحث: السيد محمد فتوح- كلية اللغة العربية بالزقازيق- ٢٠١٢م.

٦- الظواهر اللغوية في الفائق في غريب الحديث للزمخشرى- رسالة ماجستير للباحث: البسيونى عبد العظيم البسيونى- كلية اللغة العربية بالقاهرة- ١٩٩٠م.

٧- الظواهر اللهجية في كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير- رسالة ماجستير للباحث فتحى محمد فتحى السيد- كلية اللغة العربية بالقاهرة- ١١٩٠م.

٨- غريب الحديث لابن الجوزى دراسة لغوية تحليلية – رسالة ماجستير للباحثة: أسماء فتحى السيد- كلية اللغة العربية بالقاهرة- ٢٠١٣م.

٩- غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام دراسة لغوية- رسالة دكتوراه للباحثة: اعتماد عبد الصادق عفيفى- القاهرة ٢٠٠١م.

١٠- مظاهر الغرابة وأسبابها في الجزء الأول من كتاب المجموع المغيث في غريبى القرآن والحديث للمدينى- رسالة ماجستير للباحث: سامح عبد العزيز عمارة- كلية اللغة العربية بالقاهرة- ٢٠١٣م.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون فى ثلاثة فصول تسبقها مقدمةٌ وفصلٌ تمهيدىٌّ، وتقفوها خاتمةٌ وفهارس فنية، وبيانها كالآتى:

– المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهجه، وخطة البحث.

– الفصل التمهيدى: التطور الدلالى، وأثره فى الحديث النبوى، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التطور، أسبابه، ومظاهره.

المبحث الثانى: مفهوم الغرابة، والتأليف فيها.

المبحث الثالث: ابن الأثير وكتابه: (النهاية فى غريب الحديث والأثر).

الدراسة التطبيقية لألفاظ التطور الدلالى فى كتاب النهاية لابن الأثير، وفيها ثلاثة فصول:

– الفصل الأول: التعميم الدلالى (التوسع فى المعنى).

– الفصل الثانى: التخصيص الدلالى (التضييق فى المعنى).

– الفصل الثالث: انتقال مجال الدلالة (تغير مجال الاستعمال).

– الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات التى توصل إليها الباحث.

– الفهارس الفنية المتنوعة.

وبعدُ، فإنى قد عانيتُ بعضَ الصعوبات فى هذا البحث؛ لأنَّه رغم شرف الموضوع، إلا أنَّ البحث فيه يحتاج من الدقة والأمانة العلمية ما لا يحتاجه أىَّ موضوعٍ آخر؛ لعدم الوقوع فى الكذب على الله ﷻ ولا على رسوله ﷺ، ونعوذ بالله من ذلك، فإنى بذلتُ فيه قصارى الجدّ والجهد، سائلًا ربى ﷻ أن يجعل ما قدمتُهُ من عملٍ شافعًا لانتسابى لهذه اللغة الكريمة الفصحى، وأسأله ﷻ أن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن ينير لنا طريق الحق والهداية والعلم، إنه ولىُّ ذلك والقادر عليه.

الفصل التمهيدى: التطور الدلالى، وأثره فى الحديث النبوى.

المبحث الأول: مفهوم التطور، أسبابه، وأنواعه، ومظاهره.

شهدت الدراساتُ اللغوية تطورًا كبيرًا خلال هذه الفترة، فصرف العلماءُ اهتمامهم بعلم الدلالة، ولم يكن هذا الاهتمامُ قاصرًا على علماء اللغة وحدهم، وكان التطور الدلاليُّ أحد هذه الاهتمامات، فاللغة كالكائن الحىّ تتطورُ كتطوره؛ ولأجل هذا الاهتمام بالدلالة وتطورها قصدتُ البحثَ فى الحديث النبوىِّ ليكون موضوعًا أتعرّضُ فيه لتطور الألفاظ وتتبُّعها عبر الأزمان إلى أن وَصَلَتْ إلى معناها الجديد فى الحديث النبوىّ.

وقبل الورود إلى موضوع البحث لا بدَّ من التعريف بعلم الدلالة فى اللغة والاصطلاح، فهو يُعدُّ فى مقدمة الدراسات اللغوية؛ نظرًا لتعلقه بالمعنى، فأىُّ دراسةٍ لغويةٍ ينبغى فيها الوقوف على المعنى.

تعريف علم الدلالة:

هذا العلم رغم حداثته، إلا أنَّه يعدُّ من أهمها؛ لأنه يتعلق بالمعنى، وإن المباحث الدلالية قد أولت اهتمامًا كبيرًا علاقة اللفظ بالمعنى، وارتبط هذا بفهم طبيعة المفردات والجمل من جهةٍ، وفهم طبيعة المعنى من جهةٍ أخرى (١).

الدَّلالةُ فى اللغة:

سجَّلت المعاجم لهذه المادة معانٍ متعددة، فهى مصدرٌ من الفعل (دَلَّ)، وأنَّه يُقالُ بالفتح والكسر، وجاء فى اللسان:" الدَّالُّ، وَقَدْ دَلَّه عَلَى الطَّرِيقِ يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة، وَالْفَتْحُ أَعلى...، وَالِاسْمُ الدِّلالة والدَّلالة، بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ"(٢).

١- مقدمة علم الدلالة د / أحمد مختار عمر– ص ٥ – عالم الكتب – ط ٦ – ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٢ – لسان العرب لابن منظور–٢٤٨/١١– دار صادر – بيروت– ط٣– ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

ومنها أيضًا:" الهدايةُ والتوصيلُ إلى طريقٍ أو شيءٍ هدايةً أو توصيلًا قويًا موثوقًا به، وذلك أخذًا من قولهم: دلَّهُ على الطريق، وإلى الطريقِ يدُلُّهُ: سدَّدَهُ إليهِ، أى: صوَّبهُ وأرشدهُ إليهِ"(١)، وهذا هو المعنى المقصود من الدَّلالة فى العنوان(٢) .

الدَّلالةُ فى الاصطلاح(٣):

اتفق علماء اللغة قديمًا وحديثًا على أنَّ علمَ الدَّلالة يُعرف بأنه دراسةُ المعنى(٤)، قال د/ أحمد مختار عمر:" عرَّفه بعضهم بأنَّهُ دراسة المعنى، أو: العلم الذى يدرسُ المعنى، أو: ذلك الفرع من علم اللغة الذى يتناولُ نظرية المعنى".

وقد ذكر الجرجانى أنَّ الدَّلالةَ:" هى كون الشيء بحالةٍ يلزمُ من العلم به العلمُ بشيءٍ آخر، والشيء الأول هو الدَّالُّ، والثانى هو المدلول، والمطلوب بالشيئين ما يعمُّ

---

١ - الموجز فى علم الدلالة مع تطبيقات قرآنية ولغوية د/محمد حسن حسن جبل – ص ٥ – ط٢- ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .

٢- الدلالة والحركة دراسة لأفعال الحركة فى العربية المعاصرة- د/محمد داود– ص٤١– دار غريب.

٣ - ينظر: أطروحتى للدكتوراه بعنوان: التصويب اللغوى عند ابن الحنبلى جمعًا ودراسةً- إشراف أستاذىَّ أ.د: إبراهيم أبو سكين، أ.د: عبد التواب مرسى الأكرت- ص ٣٤٧- ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

٤ - مدخل إلى علم الدلالة الحديثة – عبد الحميد جحفة – ص١٢– دار توبقال– ط١- ٢٠٠٠م، وعلم الدلالة كلود جرمان – ترجمة د/نور الهدى لوشن–ص ٧- جامعة قان يونس–بنغازى– ط١- ١٩٩٧م ، علم الدلالة لجون لاينز– ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة = =وآخَرَين– ص٩–كلية الآداب– جامعة البصرة –١٩٨٠م، وعلم الدلالة العربى النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية– د/ فايز الداية–ص٦– دار الفكر المعاصر–بيروت– ط٢- ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، وعلم الدلالة د/ أحمد مختار عمر– ص١١- عالم الكتب– ط٦- ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

اللفظ وغيره"(١)، فخلاصة هذا المعنى كما ذكره التهانويّ أنَّ المراد من الدَّلالة هو:" أن يكون الشيءُ بحالةٍ يلزمُ من العلم بها العلم بشيءٍ آخر"(٢).

وسائل دراسة المعنى أو نظرياتها(٣):

- الاشتقاق اللغويّ. — العموم والخصوص. - التطور الدّلالى.

— تعدد اللفظ للمعنى (المترادف). - تعدد المعنى للفظ (المشترك، والمتضاد).

ويتضح من خلال هذا المدخل أنَّ التطور الدلاليَّ أحد الوسائل الرئيسة لدراسة المعنى، وفهم مضمون الكلام، وهذا ما يدفعنا إلى التعريف بمفهوم التطور، وأسبابه، ومظاهره، وهى على النحو الآتى:

***** مفهوم التطور:**

من المعلوم أنَّ اللغةَ ظاهرةٌ اجتماعيةٌ تنشأُ فى ظل المجتمع الإنسانى، فتتغيَّرُ بتغيُّره، وتتطوّرُ بتطوره، حتى يستطيعَ الإنسانُ التعبيرَ والتواصلَ، والسببُ الرئيسُ فى تغيُّر المعنى، كما يقول ستيفن أولمان:" قد عرَّفنا بأن المعنى هو العلاقة بين اللفظ والمدلول...، ويقع التغيير فى المعنى كلما وُجِدَ أىّ تغييرٍ فى هذه العلاقة الأساسية"(٤).

---

١ - التعريفات للجرجانى— تحقيق / إبراهيم الإبيارى— ص٨٨— دار الكتاب العربى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

٢ - كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى تحقيق د/ لطفى عبد البديع ٢/٢٨١-٢٩١.

٣ - فى علم الدلالة دراسة تطبيقية فى شرح الأنبارى للمفضليات — د/عبد الكريم محمد حسن جبل— ص٢٠— دار المعرفة الجامعية — ١٩٩٧م.

٤ - دور الكلمة فى اللغة- تأليف ستيفن أولمان- ترجمة د/كمال بشر- ص١٥٢- مكتبة الشباب- القاهرة.

ومصطلح التطور قد يقصد به التغيُّر، قال د/ المسدى:" إنَّ الحقيقةَ العلميةَ التى لا مراءَ فيها اليوم أنَّ كل الألسنة البشرية ما دامتْ متدَاوَلةً فإنها تتطوَّرُ، ومفهوم التطور هنا لا يحملُ شحنةً معياريةً لا إيجابًا ولا سلبًا، وإنما هو مأخوذٌ فى معنى أنها تتغيَّرُ، إذ يطرأُ على بعض أجزائها تبدُّل نسبىٌّ فى الأصوات والتراكيب من جهةٍ، ثم فى الدلالة على وجه الخصوص، ولكن هذا التغيّر هو من البطءِ بحيث يخفى عن الحسّ الفردىّ المباشر...، فالألسنة البشريةُ لا تتوقفُ عن التغيُّر إلا إذا انقطعتْ عن الاستعمال، غير أنَّ هذا التغيّر الذى تذعن له الألسنةُ يختلفُ فى درجته وكثافته بحسب عوامل عديدة"(١).

قال د/ على عبد الواحد:" إنَّ اللغة شأنها فى ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى، وهى عرضة للتطور المطرد فى مختلف عناصرها: أصواتها، وقواعدها، ومتنها، ودلالتها، وأن تطورها لا يجرى تبعًا للأهواء أو المصادفات، أو وفقًا لإرادة الأفراد، وإنما يخضعُ لقوانين جبريةٍ ثابتةٍ...، فالأفرادُ ليس فى قدرتهم أن يوقفوا تطورَ لغةٍ ما، أو يجعلوها تجمُدُ على وضعٍ خاصٍ، أو يسيروا بها فى سبيلٍ غير السبيل الذى رسمه لها سنن التطور الطبيعى"(٢).

وجاء مفهوم التطور فى المعجم الوسيط بأنه:" التَّغَيُّر التدريجى الَّذِى يحدث فِى بنية الكائنات الْحَيَّة وسلوكها، وَيُطلق أَيْضًا على التَّغَيُّر التدريجى الَّذِى يحدث فِى تركيب الْمُجْتَمع، أَو العلاقات أَو النّظم، أَو الْقيم السائدة فِيهِ"(٣).

---

١ – اللسانيات وأسسها المعرفية– د/عبد السلام المسدى– ص٣٨– الدار التونسية للنشر– تونس– ١٩٨٦م.

٢ – اللغة والمجتمع د/ على عبد الواحد وافى– ص١١٠– دار النهضة– القاهرة– ط١– ١٩٧١م.

٣ – المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة– ٢/٥٧٠– مكتبة الشروق الدولية – ط٤– ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

قال د/ أنيس:" إن الألفاظ لم تُخلَق لتُحبَس فى خزائن من الزجاج أو البُّور، فيراها الناسُ من وراء تلك الخزائن، ثم يكتفون بتلك الرؤية العابرة، ولو أنها كانت كذلك لبقيت على حالها جيلًا بعد جيلٍ دون تغيُّرٍ أو تحوُّلٍ، ولكنها وجدتْ ليتداولها الناسُ، وليتبادلوا بها فى حياتهم الاجتماعية، كما يتبادلون بالعملة والسلع، غير أنَّ التبادل بها يكون عن طريق الأذهان والنفوس تلك التى تتباينُ بين أفراد الجيل الواحد والبيئة الواحدة فى التجربة والذكاء، وتتشكّلُ وتتكيَّفُ الدلالةُ تبعًا لها"(١).

من خلال ذلك يتضح أنَّ التطور الدلاليَّ عبارة عن تغيير معانى الكلمات؛ لأنه انتقالٌ بالكلمة من طورٍ إلى طورٍ، وهذه الظاهرة عامةٌ، لا تقتصرُ على لغةٍ دون أخرى، وذلك بسبب أنَّ اللغةَ ظاهرةٌ اجتماعيةٌ، تخضعُ لما تخضعُ له الظواهر الاجتماعيةُ من عوامل التطور.

والتطور فى اللغة أمر حتميٌّ؛ لأن اللغة كائنٌ حى يطرأ عليها التغيير سواءٌ أكان فى الأصوات، أو بنية الكلمة، أو تركيبها، أو دلالة مفرداتها نتيجة لعوامل تعتريها، وهذا التغير أو التطور جاء وفقًا لسنن التطور الطبيعية، والظروف الاجتماعية، والعوامل الاقتصادية والسياسية، وغيرها من العوامل الرئيسة فى تطور اللغة.

قال د/ رمضان عبد التواب:" ما نسميه نحن بالعربية الفصحى يشتملُ فى الكثير من ظواهره على بعض حلقات التطور، أى أننا نلاحظ فى هذه اللغة أحيانًا صورتين أو أكثر لظاهرةٍ لغويةٍ واحدةٍ، وبعض هذه الصور يمثلُ فترةً تاريخيةً أقدمُ من الصور الأخرى، إذ تدلنا الملاحظةُ على أنه من المحتمل جدًا أن يوجد نطقان مختلفان، أحدهما جديدٌ، والآخر تقليديٌّ محافظٌ، أو أكثر، يتعايشان سويًّا لسنواتٍ كثيرةٍ قد تصلُ أحيانًا إلى عدة قرونٍ"(٢).

---

١ – دلالة الألفاظ د/إبراهيم أنيس– ص١٣٤– مكتبة الأنجلو المصرية – ط٥– ١٩٨٤م.

٢ – التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه د/رمضان عبد التواب– ص١١.

ثم يقول بأن:" العربية لها ظرفٌ لم يتوفر لأية لغةٍ من لغات العالم، ذلك أنها ارتبطت بالقرآن منذ أربعة عشر قرنًا، ودُوِّنَ بها التراثُ العربيُّ الضخمُ، الذى كان محورهُ هو القرآن الكريم فى كثيرٍ من مظاهره، وقد كَفَلَ الله الحفظَ ما دام يحفظُ دينه، ولولا أنَّ الله ﷻ شرَّفها، فأنزل بها كتابه، وقيَّض له من خلقه من يتلوهُ صباحَ مساء، ووعد بحفظه على تعاقب الأزمان، لولا كل هذا لأمست العربية الفصحى لغةً أثرية، تشبه اللاتينية أو السنسكريتية، ولسادت اللهجات العربية المختلفة، وازدادت على مر الزمان بُعدًا عن الأصل الذى انسلخت منه"(١).

*** أسباب التطور الدلالى:

إنَّ تغيرَ المعنى من أهم جوانب التطور اللغوى، قال أولمان:" قد عرفنا المعنى بأنه علاقة بين اللفظ والمدلول...، ويقع التغيير فى المعنى كلما وُجدَ أى تغيرٍ فى هذه العلاقة الأساسية، ويظهر التغيُّر فى هذه العلاقة فى صورتين اثنتين: فقد يضاف مدلولٌ جديدٌ إلى كلمةٍ قديمةٍ، أو كلمة جديدةٌ إلى مدلولٍ قديمٍ"(٢).

إنَّ العواملَ أو الأسبابَ التى تؤدى إلى تغيُّر المعنى أو تطوره كثيرةٌ ومختلفةٌ، فهناك عوامل وأسباب مقصودة، كقيام المجامع اللغوية مثلًا بوضع مصطلحاتٍ جديدةٍ، أو إضافة دلالات جديدة إلى ألفاظٍ قديمة؛ لأجل التطور الطبيعى، قال د/ أنيس:" وهذا التطور المقصود المتعمد أقلُّ أثرًا فى اللغات بوجهٍ عامٍ"(٣).

---

١ – المصدر السابق – ص١٣.

٢ – دور الكلمة فى اللغة– تأليف ستيفن أولمان – ص١٥٢.

٣ – دلالة الألفاظ د/ إبراهيم أنيس – ص١٣٤.

وهناك عوامل غير مقصودة، وهى التى تعنينا هنا، وهذه الأسباب أو العوامل التى تؤدى إلى تطور الدلالة فى كل اللغات الإنسانية؛ لأنَّ جميع اللغات تخضع لقوانين التطور والتغير، قال د/ أنيس:" رأينا كيف أنَّ كثيرًا من ألفاظ اللغات تتطور دلالتها بمرور السنين وتوالى العصور، ويعنينا هنا البحث عن أسباب ذلك التطور الدلالى أو عوامله، فنراها ذات شطرين، منها تطور لا شعورى يتم فى كل لغةٍ، وفى كل بيئةٍ، ثم لا يفطن إليه إلا بعد المقارنة بين عصور اللغة..."(١).

تنوعت هذه الأسباب أو العوامل بتنوع العلماء، لكنَّ الجميع يدور حول عناصرَ أساسية مهمة، قال د/ أنيس: "ويمكن أن نعزو التطور الدلالىّ إلى عاملين أساسيين لكل منهما عناصره ومقوماته، هما: الاستعمال، والحاجة"، وعدَّد د/ رمضان عبد التواب ما أجمله د/ أنيس فى عاملين رئيسيين، وهذه الأسباب كما يأتى:

أولًا: الاستعمال:

وذلك يعنى أنَّ الألفاظ لم تُخلق لتكون محفوظة فى خزائن، وإنما ليستعملها الناس فى حياتهم اليومية، ويتداولونها فيما بينهم، فينشأُ عن هذا الاستعمال تطورٌ لبعض الألفاظ، إما برقىٍّ الدلالة، وإما بانحطاطها، وإما بنقلها إلى معنًى آخر أو غير ذلك من صور مظاهر التطور.

ثانيًا: سوء الفهم:

وذلك يعنى أنَّ الإنسان يقيسُ بفهمه ما لم يعرف على ما عرفه سابقًا، سواءٌ أكان مصيبًا أم مخطئًا، ثم تخرجُ لنا دلالاتٌ بناءً على هذا الفهم قد تُضافُ إلى

---

١ – دلالة الألفاظ د/ إبراهيم أنيس – ص١٣٤، والتطور اللغوى د/ رمضان عبد التواب– ص١٨٩.

الدلالات السابقة لهذه الألفاظ، قال د/ أنيس:" وليس سوء الفهم فى الحقيقة إلا نتيجة تلك العملية الذهنية التى تسمى بالقياس الخاطئ، والتى تلازم كلًّا منا فى مراحل الحياة، فقد تتم بين الأطفال كما تتم بين الكبار، ذلك لأننا كثيرًا ما نعتمدُ فى فهم ما نسمع أو نقرأ من ألفاظٍ جديدةٍ على ما سبق لنا سماعُهُ واختزانُهُ من ذخيرةٍ لفظيةٍ، وما سبق أن تلقَّيناهُ عن طريق المشافهة، وما تعلَّمناهُ من لغة أهلينا، فيقومُ كلٌّ منا باستنباط الجديد على أساس القديم"(١).

ثالثًا: تطور بعض أصوات الكلمة:

قال د/ رمضان:" ومن عوامل التطور اللغوى كذلك: تطور أصوات الكلمة، بحيث تصبح الكلمة مماثلةً لكلمةٍ أخرى لها معنًى آخر، فإنَّ كلمة (كماش) الفارسية بمعنى: نسيج من قطنٍ خشنٍ، قد تطورت فيها الكاف فأصبحت قافًا، فشابهتْ الكلمة العربية: (قماش) بمعنى: أراذل الناس، وما وقع على الأرض من فتات الأشياء، ومتاع البيت، فأصبحت هذه الكلمة العربية ذات دلالةٍ جديدةٍ على المنسوجات"(٢).

رابعًا: الابتذال والرقى:

وابتذالُ الألفاظ يترتبُ عليه انحطاطُ الدلالة، أو اندثارُ الكلمة، وانحدارُها، وعدم ورودها فى الاستعمال، وهذا بسبب الظروف السياسية، أو الاجتماعية، أو العاطفية، وذلك مثل كلمة: (الحاجب) كانت تعنى فى الدولة الأندلسية: (رئيس الوزراء)، ثم فقدت هذه اللفظة دلالتها لتصبح مرادفة لكلمة: (البواب).

---

١ – دلالة الألفاظ د/ إبراهيم أنيس – ص١٣٧.

٢ – التطور اللغوى د/ رمضان عبد التواب– ص١٩١.

وأما عن رقىّ الدلالة، فعبارة عن ارتقاء اللفظة بعد أن كانت فى انحطاطٍ وانحدار؛ لتكون فى ارتقاء، مثل كلمة: (البيت) كان يدلُّ على المسكن المصنوع من الشَّعْر، فأصبحت تدلُّ على البيت المعروف.

خامسًا: الحاجَة:

الحاجة إلى التجديد فى ابتكار ألفاظ جديدةٍ غالبًا يكون بسبب العوامل السياسية، أو الاجتماعية، قال د/ أنيس:" هناك نوعٌ من التطور فى الدلالة يكون وليد الحاجة إلى التجديد فى التعبير، ويتمُّ عن عمدٍ فى ألفاظ اللغة، ويتمُّ هذا النوع من التطور عادةً على أيدى الموهوبين من أصحاب المهارة فى الكلام كالشعراء والأدباء، كما قد تقوم به المجامع اللغوية، أو الهيئات العلمية حين تعوز الحاجة إليه، والسبيلُ إليه هو ما يسمى بالمجاز أو الانتقال باللفظ من مجاله المألوف إلى آخرٍ جديدٍ عليه"(١).

***** مظاهر التطور الدلالى وأنواعه:**

إنَّ التطور الدلالى الذى يصيب الألفاظ يتمثل بعدة أنواع ذكرها د/عودة خليل نقلًا عن (بالمر)، فقال:" قد عدَّد (بالمر) نقلًا عن العالم اللغوى (بلومفيلد) أنواعًا من تطور دلالة الألفاظ منها:

١ – تضييق الدلالة أو تخصيصها. ٢ – توسيع دلالة اللفظ أو تعميمها.
٣ – نقل دلالة اللفظة إلى شيءٍ يقاربُ دلالتها الأصلية مكانًا أو زمانًا.
٤ – تغيير مجال الاستعمال عن طريق المجاز.
٥ – نقل المعنى من الكل إلى الجزء أو العكس.

---

١ – دلالة الألفاظ د/ إبراهيم أنيس – ص١٤٥.

٦ – نقل المعنى من الأقوى إلى الأضعف أو العكس.

٧ – انحدار الدلالة أى نقل المعنى من الأفضل إلى الأدنى.

٨ – تسامى الدلالة أى نقل المعنى من الأدنى إلى الأفضل.

ثم يقول: ولم تَصِفْ المراجع العربية شيئًا ذا بالٍ إلى تلك المظاهر فى تطور الدلالة، سوى ما كان يتعلق بطبيعة اللغة نفسها، والاستعمال الاجتماعى لبيئةٍ معينةٍ"(١).

وقد أشار أستاذنا د/ إبراهيم أبو سكين إلى ذلك بقوله:" إنّ ما يصيبُ الكائناتِ من تبدّل وتحوّل قد يصيب أيضًا الألفاظَ، فتتغيّر من ناحية معناها، فقد تنتقل الكلمة من معنى إلى معنًى آخر، أو يضيق معناها، أو يتسع، أو يرقى، أو ينحط"(٢).

وأهم مظاهر التطور الدلالى ثلاثة:

١ – تخصيص الدلالة . ٢ – تعميم الدلالة .

٣– تغيير مجال استعمال الكلمة، بمعنى: أنَّ الكلمة يحدُثُ فيها تضييقٌ أو اتساعٌ أو انتقالٌ"(٣).

وقال د/ على عبد الواحد وافى:" ترجع أهم ظواهر التطور الدلالى إلى ثلاثة أنواع:

أحدها: تطورٌ يلحقُ القواعدَ المتصلةَ بوظائف الكلمات، وتركيب الجمل، وتكوين العبارة... وما إلى ذلك وهلم جرًّا، وذلك كما حدث فى اللغات العامية المنشعبة من

---

١ – التطور الدلالى بين لغة الشعر الجاهلى ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة– عودة خليل عودة– ص٥٦– مكتبة المنار– الأردن – ط١ –١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.

٢ – علم الدلالة د/ إبراهيم أبو سكين – ص١٤٦ .

٣ – التطور اللغوى د / رمضان عبد التواب – ص١٩٤.

اللغة العربية، إذ تجردت من علامات الإعراب، وتغيرت فيها قواعد الاشتقاق، واختلفت مناهج تركيب العبارات.

ثانيها: تطورٌ يلحقُ الأساليبَ، كما حدث فى لغاتِ المحادثة العامية المنشعبة عن العربية، إذ اختلفت أساليبها اختلافًا كبيرًا عن الأساليب العربية الأولى، وكما حدث للغة الكتابة فى عصرنا الحاضر، إذ تميزت أساليبها عن أساليب الكتابة القديمة تحت تأثير الترجمة والاحتكاك بالآداب الأجنبية ورقىّ التفكير وزيادة الحاجة إلى الدقة فى التعبير عن حقائق العلوم والفلسفة والاجتماع... وهلم جرا.

ثالثها: تطورٌ يلحقُ معنى الكلمة نفسه، كأن يخصص معناها العام، فلا تطلق إلّا على بعض ما كانت تطلق عليه من قبل، أو يعمم مدلولها الخاص، فتطلق على معنًى يشمل معناها الأصلى ومعانى أخرى تشترك معه فى بعض الصفات، أو تخرج عن معانيها القديمة فتطلق على معنًى آخر تربطه به علاقة ما، وتصبح حقيقة فى هذا المعنى الجديد بعد أن كانت مجازًا فيه، أو تستعمل فى معنى غريبٍ كلَّ الغرابة عن معناها الأول...وهلم جرا"(١) (٢).

أولًا: **التعميم الدلالى أو التوسع فى المعنى:**

التعميم فى اللغة: الإحاطةُ والشُّمولُ، جاء فى اللسان:" عَمَّهُم الأمرُ يعُمُّهُم عَمًّا: شَمِلَهُم، يقال: عَمَّهُم بالعطيةِ"(٣).

---

١ – علم اللغة د/على عبد الواحد وافى– ص ٣١٣، ٣١٤– دار نهضة مصر– ط٩ — ٢٠٠٤م.

٢ – ينظر: أطروحتى للدكتوراه بعنوان: التصويب اللغوى عند ابن الحنبلى جمعًا ودراسةً– ص ٤٠٠.

٣ – لسان العرب لابن منظور ٦/ ٤٤٩ .

وفى الاصطلاح: قال السيوطى:" هو ما وُضِعَ فى الأصلِ خاصًا ثم استُعمل عامًا، عقد له ابنُ فارس فى فقه اللغة: (باب القول فى أصول الأسماء قِيْسَ عليها وأُلْحِق بها غيرُها)، ثم قال: كان الأصمعىُّ يقول: أصلُ الوِرْد إتيانُ الماء ثم صار إتيانُ كلِّ شيءٍ وِرْدًا، والقرب: طلب الماء ثم صار يقال ذلك لكل طلبٍ، فيقال: هو يقربُ كذا أى: يطلبُه ولا يقرب كذا، ويقولون: رفع عقيرته أى صوته، وأصلُ ذلك أنَّ رجلاً عُقرتْ رجلهُ فرفعها، وصاح فقيل بعدُ لكل مَن رفع صوته: رفع عقيرته"(١) .

ثانيًا: **التخصيص الدلالى أو التضييق فى المعنى:**

التخصيص فى اللغة معناهُ: الإفراد، جاء فى اللسان:" خصص: خَصَّهُ بِالشَّىءِ يخُصّه خَصًّا وخُصوصًا وخَصُوصِيّةً وخُصُوصِيّةً، وَالْفَتْحُ أَفصح، وخِصِّيصَى وخصّصَه واخْتصّه: أَفْرَدَه بِهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَيُقَالُ: اخْتصّ فلانٌ بالأَمر وتخصّصَ لَهُ إِذا انْفَرَدَ، وخَصّ غيرَه واخْتصّه بِبِرِّهِ، وَيُقَالُ: فُلَانٌ مُخِصٌّ بِفُلَانٍ أَى خَاصٌّ بِهِ وَلَهُ بِهِ خِصِّيّة"(٢).

اصطلاحًا: عرفه السيوطى، فقال:" العام المخصوص، وهو ما وُضع فى الأصل عامًا ثم خُصّ فى الاستعمال ببعض أفراده- مثاله عزيز- وقد ذكر ابن دريد أن الحج أصله: قصْدُ الشىء وتجريدك له، ثم خُصّ بقَصْدِ البيت، فإن كان هذا التخصيص من اللغة صلح أن يكون مثالًا فيه، وإن كان من الشرع لم يصلح؛ لأن الكلام فيما خصته اللغة لا الشَّرْع. ثم رأيتُ له مثالًا فى غاية الحُسْنِ، وهو لفظُ (السبتِ)، فإنَّهُ فى اللغةِ: الدَّهر، ثم خُصَّ فى الاستعمالِ لغةً بأحدِ أيام الأسبوع، وهو فردٌ من أفراد الدَّهر"(٣).

---

١ - المزهر فى علوم اللغة للسيوطى – تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم وآخران–١/٤٢٩- دار الحرم للتراث – ط ٣ .

٢ - لسان العرب لابن منظور ٧/٢٤.

٣ - المزهر للسيوطى ١/٤٢٧.

ثالثًا: **تغيُّر الدلالة (انتقال مجال الدلالة):**

معنى الانتقال: ذكره د/ أنيس تحت (تغير مجال الاستعمال)، فقال:" ذلك ما يسمى بالمجاز، وهذا النقلُ من مجالٍ إلى آخر، سواء كان عن عمدٍ أو عن غير عمدٍ، وله مسوغاته ودوافعه...، وهنا نلحظُ أنَّ الدلالةَ تنتقلُ من مجالِ المحسوسِ إلى مجالِ الدلالاتِ المجردةِ، ويمكن تسمية هذه الظاهرة بالمجاز أيضًا"(١).

رابعًا: **رقيّ الدلالة:**

وهو التغيير المتسامى بتغيير معانٍ كانت عادية أو ضعيفة أو وضيعة إلى معانٍ قويةٍ أو شريفة، مثل: كلمة رسول: كانت تعنى المرسَل، ثم شرُف معناها لتدل على الواحد من رسل الله.

خامسًا: انحطاط الدلالة وانحدارها:

ويعني: تخلِّى اللفظة عن مرتبة متقدِّمة إلى مرتبة متأخِّرة بعد أن تفقد شيئًا من هيبتها فى أذهان الناس، أو تفقد مكانتها بين الألفاظ التى تنال مراتب رفيعة فى المجتمع، مثل: كلمة (الحاجب) كانت تعنى فى الدولة العربية الأندلسية رئيس الوزراء، ثم أصبحت تدل على خادم أو حارس الباب(البواب).

---

١ – دلالة الألفاظ د / إبراهيم أنيس – ص١٢٣، ١٢٤.

المبحث الثانى: مفهوم الغرابة، والتأليف فيها.

*** مفهوم الغرابة:

يعود مصطلح لفظ (الغرابة) إلى المادة المعجمية (غ ر ب)، قال د: الخراط:" إذا تتبعنا نصوص اللغويين نلتمس معاني مادة (غَرَبَ) واستعمالاتها، فإننا نجد "الغَرْبَ" هو الذّهاب والتنحّي عن الناس، وقد غَرَب عنَّا يَغْرُب غَرْبًا، وغَرَّب، وأغْرَب، وغرَّبه وأغربه إذا نحّاه، والغَرْبة والغَرْب: النوى والبعد، والخبر المغْرِب: الذي جاء غريبًا حادثًا طريفًا، وقيل:" العلماء غرباء" لقلتهم فيما بين الجُهَّال..." (١).

قال ابن فارس:" الْغَيْنُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَكَلِمُهُ غَيْرُ مُنْقَاسَةٍ لَكِنَّهَا مُتَجَانِسَةٌ، فَلِذَلِكَ كَتَبْنَاهُ عَلَى جِهَتِهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ لِقِيَاسِهِ، فَالْغَرْبُ: حَدُّ الشَّيْءِ"(٢)، يتضح من خلال ذلك أنَّه لم يحدد المعنى الذى تدور حوله هذه المادة.

وذكر أستاذنا د البركاوى- رحمه الله-:" اتضح من دراسة المعانى المختلفة للمادة أنَّ أقربها إلى ما نحن بصدده هو: معنى البُعد والاختفاء، وقد أوردت المعاجم العربية العديد من المشتقات التي تدور حول هذا المعنى"(٣).

---

١ - منهج ابن الأثير الجزرى في مصنفه: النهاية في غريب الحديث والأثر- ص ٥- د: أحمد محمد الخراط.

٢ - مقاييس اللغة لابن فارس- تحقيق: عبد السلام هارون- ٤/٤٢٠- دار الفكر- ط١- ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣ - ظاهرة الغرابة في الحديث النبوى — د: عبد الفتاح البركاوى- ص٧- ط٢- ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

وقال الخطّابى:" الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس، إنما هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل، ومنه قولك للرجل إذا نحيته وأقصيته: اغرُب عني: أي ابعد، ومن هذا قولهم: نوى غربة: أي بعيدة، وشأوٌ مُغرِّب، وكل هذا مأخوذٌ بعضه من بعض، وإنما يختلف في المصادر، فيقال: غرَب الرجل يغرب غربًا إذا تنحى وذهب، وغرُب غُربة إذا انقطع عن أهله، وغرُبت الكلمة غرابة وغرَبت الشمس غروبًا، ثم إن الغريب من الكلام يقال به على وجهين:

أحدهما: أن يراد به بعيدُ المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر، **والوجه الآخر**: أن يراد به كلام من بعدت به الدار، ونأى به المحل من شواذِّ قبائلِ العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها، وإنما هي كلام القوم وبيانهم، وعلى هذا ما جاء عن بعضهم، وقال له قائل: أسألك عن حرفٍ من الغريب، فقال: هو كلام القوم، إنما الغريب أنت وأمثالك من الدخلاء فيه"(١).

***** التأليف في الغريب:**

ذكر د: الخراط:" أنَّ حركةَ التأليفِ في غريب الحديث تبدأ من أواخر القرن الثاني الهجري، وقد ترك طائفةٌ من علماء اللغة المتقدمين مصنفاتٍ أو شَذَراتٍ مختصرةً فيه، وبعضها كان في وُرَيْقاتٍ ككتاب أبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى، إذ وصفه ابن الأثير بقوله: "كتابًا صغيرًا ذا أوراق معدودات"(٢).

---

١ - غريب الحديث للخطابى- تحقيق: عبد الكريم الغرباوى-١/٧٠، ٧١- دار الفكر- دمشق- ط١- ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢- النهاية لابن الأثير ١ / ٥.

ثم ذكر ابن الأثير أوَّلَ من جمع في هذا الفن من غريب الحديث والأثر، وكان يرى أنه أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى، ويبيّن ابن الأثير أنَّ قلة صفحات الكتاب لم تكن لجهله بغيره من غريب الحديث، وإنما سبب ذلك أنَّ كلَّ مبتدئ لشيء يكون قليلاً، ثم يكثر، ثم إنَّ الناس يومئذٍ كان فيهم بقيةٌ من معرفة(١).

ثم أشار ابن الأثير إلى أنَّ النَّضْر ابن شُميل وضع كتابًا بعد ذلك أكبر من كتاب أبي عبيدة، ثم يأتي كتاب الأصمعي ويصف كتابه بأنه " أحسن فيه الصنع وأجاد"، ثم يأتي كتاب قطرب.

ويلحظ ابن الأثير أنَّ حركة التأليف في هذا العلم ما تزال تحبو إذ قال:" ولم يكن أحدهم ينفرد عن غيره بكبير حديث لم يذكره الآخر، واستمرت الحال إلى زمن أبي عبيد القاسم بن سلام الذي وضع كتابًا مهمًا في هذا العلم" لِما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة والمعاني اللطيفة والفوائد الجمَّة"(٢).

ثم تحدث عن كتاب "غريب الحديث" لابن قتيبة، فيقول:" ولم يُودِعْه شيئًا من الأحاديث المودعة في كتاب أبي عبيد إلا ما دَعَتْ إليه حاجة من زيادةِ شرحٍ وبيان، أو استدراك، أو اعتراض".

ثم يشير إلى كتاب إبراهيم بن إسحاق الذي "بسط القول وشرح، واستقصى الأحاديث بطرق أسانيدها وأطاله بذكر متونها وألفاظها".

---

١ -المصدر السابق ١/٥.

٢ -المصدر السابق ١ / ٦.

وكثرت المصنفات بعد ذلك، فأدلى أهل اللغة بدَلْوهم، من أمثال: شَمِر ابن حَمْدَوَيْه، وثعلب، والمبرد، والأنباري، والزاهد، وغيرهم، إلى أن جاء الإمام أبو سليمان الخطَّابي الذي سلك منهج أبي عبيد وابن قتيبة، وأضاف إلى أقوالهما المزيد.

ويرى ابن الأثير(١) أنَّ هذه الكتب الثلاثة هي المعوَّل عليها، بَيْدَ أنَّه ينتقد منهج التأليف في هذا العلم، ويوضِّح حاجته إلى تيسير تناوله بالترتيب المعجمي فيقول:" إلا أنها وغيرها لم يكن فيها كتاب صُنِّف مرتبًا ومُقفًّى، يرجع الإنسان عند طلب الحديث إليه إلا كتابُ الحربيِّ، وهو على طوله وعُسْر ترتيبه لا يوجد الحديث فيه إلا بعد عَناء، مع ما فيه من كون الحديث المطلوب لا يُعرف في أيّ واحد من هذه الكتب هو".

ثمَّ تحدث عن كتاب أحمد بن محمد الهرَوي في الجمع بين غريب القرآن والحديث، وقد رَتَّبه على حروف المعجم، وأفاد من محاولات سابقيه، فجاء مصنّفه "جامعًا في الحسن بين الإحاطة والوضع"(٢)، إلى أن جاء الزمخشري، وصنَّف كتاب "الفائق"، وهذا الكتاب مع كونه جامعًا مستفيدًا ممّا تَقَدَّمه، بَيد أنه كان يشرح ما في الحديث الواحد من غريب في حرف واحد من حروف المعجم، فَتَرِدُ الكلمةُ في غير حرفها، وإذا تَطَلَّبها الإنسانُ تعب حتى يجدها، ومن هنا فإنَّ كتاب الهروي أسهل مأخذًا.

ثم يتحدث ابن الأثير عن كتاب أبي بكر الأصفهاني الذي أفاد من كتاب الهروي في مادته ومنهجه، واستدرك ما فاته، وتَحَدَّث عن كتاب أبي الفرج بن الجوزي، الذي اقتفى أثر الهروي، ولم يزد عليه إلا الكلمة الشاذَّة، واللفظة الفاذَّة.

---

١ -المصدر السابق ١ / ٦.

٢ -النهاية لابن الأثير ١ /٩

ويأتي بعد ذلك حديثه عن كتابه "النهاية" فيقرُّ بأنّه ترسَّم خُطى الكتابين المتقدمين: كتاب "الغريبين" للهروي، و"المجموع المغيث" لأبي موسى المديني، ويقول: "فرأيت أن أجمعَ ما فيهما من غريب الحديث، مجردًا من غريب القرآن، وأضيف كل كلمة إلى أختها في بابها تسهيلًا لكلفة الطلب، وأنعمت الفكر في اعتبار الكتابين، والجمع بين ألفاظهما"(١).

ويذكر ابن الأثير أنَّ الكتابين قد فاتهما الكثير الوافر، فيقول:" فحيث عَرَفْتُ ذلك تَنَبَّهت لاعتبار غير هذين الكتابين من كتب الحديث المدوَّنة المصنَّفة في أول الزمان، وأوسطه، وآخره، فتتبَّعْتُها واستَقْرَيْتُ ما حضرني منها، وأضفت ما عثرت عليه من الغرائب، إلى ما في كتابيهما في حروفها مع نظائرها"(٢).

١- المصدر السابق ١ / ١٠.

٢- المصدر السابق ١ / ١١.

المبحث الثالث: ابن الأثير وكتابه النهاية فى غريب الحديث والأثر.

أولًا: التعريف بابن الأثير:

نسبه: هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانىّ الجَزَرىّ، المَوْصِلىّ الشافعىّ، أبو السعادات مجد الدين، المعروف بابن الأثير"(١)، و"الأثير" لقبٌ لوالده أبى محمد.

مولده: "ولد ابن الأثير بجزيرة ابن عمر، في أحد الربيعين، سنة أربع وأربعين وخمس مائة، وقد اتفق المؤرخون على تحديد تاريخ ولادته بسنة(٥٤٤هـ)، ونشأ بها، ثم تحول إلى الموصل"(٢).

وجزيرةُ ابن عُمر هذه مدينة فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام، ويحيط بها نهر دِجْلة، وقد بناها رجل من أهل بَرْقَعِيد، يُقال له: عبد العزيز بن عمر، أو الحسن بن عمر، ونسبوا إليها بقولهم: "الجَزَرِيّ"(٣).

صفاته وعلمه:

ذكر المؤرخون للمبارك بن الأثير صفات العلم والفضل والعقل والورع والبر والإحسان، وقد جمع بين التمكن من علوم العربية، والقرآن، والحديث، والفقه، وصنَّف

---

١ - ينظر: ترجمته فى: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان- تحقيق/ إحسان عباس- ١٤١/٤- دار صادر—بيروت— ط١-١٩٧١م، وسير أعلام النبلاء للذهبى- تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط- ٤٨٨/٢١ - مؤسسة الرسالة- ط٣- ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢ - وفيات الأعيان١٤١/٤، وسير أعلام النبلاء للذهبى ٤٨٩/٢١.

٣ - معجم البلدان لياقوت الحموى- ١٣٨/٢- دار صادر بيروت- ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ووفيات الأعيان١٤١/٤.

فى ذلك تصانيف مفيدة، كما كان شاعرًا، أنشأ رِباطًا بقرية من قرى الموصل، ووقف أملاكه عليه، قال ابن العماد:" سمع الحديث، وقرأ الفقه، والأدب، والنحو، ثم اتصل بخدمة السلطان، وترقت به المنازل حتى باشر كتابة السر، وسأله صاحب الموصل أن يلى الوزارة فاعتذر بعلو السند والشهرة بالعلم، ثم حصل له نقرس أبطل حركة يديه ورجليه، وصار يُحمل فى محفة، وقال ابن خلكان: كان فقيهًا محدثًا أديبًا نحويًا عالمًا بصنعة الحساب والإنشاء، ورعًا عاقلًا مهيبًا ذا بر وإحسانٍ"(١)، وَتَفرَّغ للكتابة فى فترة مرضه، وكان يَغْشاه الأكابر والعلماء"(٢).

مصنفاته:

ترك ابن الأثير قدرًا كبيرًا من المصنفات العلمية(٣)، وقد صنّف معظم كتبه فى مدة مرضه، وكان عنده جماعة من الطلبة، يُعينونه عليها فى الاختيار والكتابة(٤)، ومنها على سبيل المثال:

١ـ "منال الطالب فى شرح طوال الغرائب" وهو مطبوع، والكتاب فى شرح ما اختاره من الأحاديث المطوَّلة الغريبة.

٢- "البديع فى علم العربية"، وهو مطبوع.

٣- "جامع الأصول فى أحاديث الرسول ﷺ " جمع فيه بين الكتب الستة، ورتّبه على حروف المعجم. وهو مطبوع.

---

١ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد- تحقيق محمود الأرناؤوط -٥/٢٢- دار ابن كثير- دمشق- ط١- ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢ - وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/١٤٢.

٣ - وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/١٤٢، وسير أعلام النبلاء ٢١/٤٩١.

٤ - وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/١٤٢.

٤- "المرصَّع فى البنين والبنات والآباء والأمهات"، وهو مطبوع.

٥- "الإنصاف فى الجمع بين الكشف والكشاف"، وهو فى التفسير أخذه من تَفسيرى الثعلبى والزمخشرى.

٦- "المصطفى المختار في الأدعية والأذكار".

٧- "المختار من مناقب الأخيار".

٨- "النهاية فى غريب الحديث والأثر"، وقد وصفه أهل الفنِّ بأنّه "لم يُعهد نظيره فى بابه، قال فيه ابن حجر:" وهو أحسن كتب الغريب وأجمعها وأشهرها وأكثرها تداولًا؛ لأنه جمع غالب كتب الغريب، فالذى يريد أن يقتصر على كتاب واحد فى الغريب فعليه بالنهاية"(١).

وقال الملا على القارى بعد عرضه لكتب الغريب:" جمع الجميع ابن الأثير فى (النهاية)، وكتابه أسهل الكتب تناولًا، أى: أخذًا واستنباطًا فى المعنى المقصود، لما يذكر فيه لفظ الحديث غالبًا، مع إعوازٍ قليلٍ فيه، وقد لخصه شيخ مشايخنا السيوطى رحمه الله تعالى وزاد أشياء، وسماه: (الدر النثير في تلخيص نهاية ابن الأثير)، وهو كتابٌ لا يستغنى عنه الطالب"(٢).

وفاته:

توفي ابن الأثير في مدينة الموصل يوم الخميس فى ذى الحجة سنة ست وستمائة، ودفن برباطه فى درب دَرَّاج داخل البلد -رحمه الله تعالى-(٣).

---

١ - شرح نخبة الفكر لابن حجر العسقلانى- شرح/ عبد الكريم الخضير- ٣٥/٨.

٢ - شرح نخبة الفكر فى مصطلحات أهل الأثر للملا القارى- حققه محمد نزار تميم- ٥٠٤/١- دار الأرقم- بيروت- دون سنة طبع.

٣ - وفيات الأعيان لابن خلكان ١٤١/٤، ١٤٣، وسير أعلام النبلاء للذهبى ٤٩١/٢١.

الدراسة التطبيقية لألفاظ التطور الدلالى فى كتاب النهاية لابن الأثير، وفيها ثلاثة فصول:

الفصل الأول: التعميم الدلالى (التوسع فى المعنى).

الفصل الثانى: التخصيص الدلالى (التضييق فى المعنى).

الفصل الثالث: انتقال مجال الدلالة (تغير مجال الاستعمال).

تمهيدٌ:

تمثِّل هذه الدراسةُ صُلبَ البحث، وكل ما سبق سببٌ نصلُ به إلى معرفة ما لحقَ بالألفاظ الواردة فى كتاب النهاية لابن الأثير من تطورٍ فى دلالتها؛ لأنَّ التتبُّعَ الدقيقَ لمراحل اللفظ ليس بالأمر اليسير فى ظلِّ غياب معجمٍ تاريخىٍّ يهدينا إلى ذلك التطور فى الألفاظ، لذا عوَّلتُ على الاستعمال اللغوىِّ ببيان أصل اللفظ والربط بينه وبين المعنى المقصود فى الحديث، أو بيان ما اعترى اللفظ من تعميمٍ أو تخصيصٍ لدلالته، ثم بيَّنتُ ذلك بما جاء فى المعاجم اللغوية المعنيَّة بذلك، ثم صنَّفتُ هذه الألفاظ وفقًا لما ذكره علماء اللغة المحدثون فى مظاهر التطور الدلالى، واقتصرتُ على ثلاثة مظاهر منها، هى: التعميم، والتخصيص، وانتقال مجال الدلالة، أما رقى الدلالة، وانحطاطها، فهما راجعان إلى هذه المظاهر الثلاثة، فتعميم اللفظ، أو تخصيصه، أو انتقال دلالته، قد يؤدِّى أحيانًا إلى رقىّ الدلالة، أو انحطاطها، والتفصيل على النحو الآتى:

الفصل الأول: التعميم الدلالى (التوسع فى المعنى).

من فوائد التعميم أنَّهُ يقومُ على توسيع معنى اللفظ ومفهومه، ونقله من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى أعم وأشملُ.

وقال د/ السعران:" إن تعميم المعنى ضد تخصيصه، فكما رأينا الكلمة التى كانت تدل على أفراد كثيرين ينحصر معناها فتدل على فردٍ واحدٍ منها مثلًا، فكذلك يطرأُ على الكلمات التغير المضاد فتستعمل الكلمة التى كانت تدل على فردٍ مثلًا للدلالة على أفرادٍ كثيرين أو على طبقةٍ بأسرها"(١).

التعميم فى اللغة: الإحاطةُ والشُّمولُ، وجاء فى اللسان:" وعَمَّهُم الأمرُ يعُمُّهُم عَمًّا: شَمِلَهُم، يقال: عَمَّهُم بالعطيةِ"(٢).

وفى الاصطلاح: قال السيوطى:" هو ما وُضِعَ فى الأصلِ خاصًا ثم استُعمل عامًا، عقد له ابنُ فارس فى فقه اللغة: (باب القول فى أصول الأسماء قِيْسَ عليها وأُلْحِق بها غيرُها)، ثم قال: كان الأصمعىُّ يقول: أصلُ الوِرْد إتيانُ الماء ثم صار إتيانُ كلِّ شىءٍ وِرْدًا، والقرب: طلب الماء ثم صار يقال ذلك لكل طلبٍ، فيقال: هو يقربُ كذا أى: يطلبُه ولا يقرب كذا، ويقولون: رفع عقيرته أى صوته، وأصلُ ذلك أنَّ رجلًا عُقرتْ رجلهُ فرفعها، وصاح فقيل بعدُ لكل مَن رفع صوته: رفع عقيرته"(٣).

---

١ – علم اللغة مقدمة للقارئ العربى– محمود السعران– ص٢٣١ – دار الفكر العربى– ط٢– ١٩٩٧م.

٢ – لسان العرب لابن منظور ٦ / ٤٤٩ .

٣ – المزهر للسيوطى ١ / ٤٢٩ .

وقد جاءت ألفاظٌ فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير(١)، يتمثل فيها توسع المعنى، أو تعميم الدلالة، وهى على النحو الآتى:

١- لفظ (التثويب):

فى حديث: «إِذَا ثُوِّب بِالصَّلَاةِ فَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ»(٢).

قال ابن الأثير:" التَّثْوِيب هَاهُنَا: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَالْأَصْلُ فِي التَّثْوِيب: أَنْ يَجِيءَ الرجُل مُسْتَصْرِخًا فيُلَوِّح بِثَوْبِه لِيُرَى ويَشْتَهرَ، فسُمِّى الدُّعَاءُ تَثْوِيباً لِذَلِكَ، وكلُّ داعٍ مُثَوِّبٌ، وَقِيلَ إِنَّمَا سُمّى تَثْوِيبًا مِنْ ثَابَ يَثُوب إِذَا رَجَعَ، فَهُوَ رُجُوع إِلَى الْأَمْرِ بالمبادرة إِلَى الصَّلَاةِ، وَأَنَّ الْمُؤَذِّنَ إِذَا قَالَ: حيَّ عَلَى الصَّلَاةِ فَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَيْهَا، وَإِذَا قَالَ بَعْدَهَا الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوم فَقَدْ رَجَع إِلَى كلامٍ مَعْنَاهُ الْمُبَادَرَةُ إِلَيْهَا"(٣).

يتضح من قول ابن الأثير لمعنى التثويب وأصله، أنه كان يدلُّ على المستغيث المستصرخ الذى يرفع ثوبه داعيًا لنصرته وإغاثته، ثم عُمِّمَ اللفظُ واتسعت دلالته وكثُر استعماله ليشمل كلَّ دعاءٍ، حتى أُطلِق على المؤذّن إذا حيعل مرتين فى أذانه، وفى قوله فى أذان الفجر: (الصلاة خيرٌ من النوم).

وقد اتفقت المعاجم اللغوية على أنّ التثويب معناه: الرجوع والعودة والتكرار، قال ابن الأنبارى:" وقولهم قد ثوّبَ الرجلُ معناه: قد عاد إلى الدعاء والإعلام بالأذان،

---

١ - النهاية فى غريب الحديث الأثر لابن الأثير- تحقيق/ طاهر الزاوى، ومحمود الطناحى- المكتبة العلمية- بيروت- ط١-١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢ - الحديث في صحيح البخارى- تحقيق جماعة من العلماء- ١/١٢٥- ط١- المطبعة الكبرى الأميرية- مصر- ١٣١١هـ.

٣ - النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير١/٢٢٦، ٢٢٧.

والتثويب معناه: أن تقول (الصلاةُ خيرٌ من النوم)، وإنما سُمي تثويبًا؛ لأنه دعاء إلى الصلاة ثانيًا، وذلك أنه لما قال: (حيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح) كان هذا دعاء إلى الصلاة، ثم عاد إلى ذلك، فقال (الصلاة خير من النوم).

والتثويب عند العرب معناه: العودة، يقال قد ثاب إليّ مَالِي أى عاد إليّ، ويقال قد ثاب إلى المريض جسمه أى عاد إليه"(١).

وقال المطرزى:" والتَّثويب من الثياب؛ لأن الرجل كان إذا جاء مستصرخًا أى مستغيثًا لمعَ بثوبه، أى حرّكه رافعًا به يده، ليَراه المستغاث فيكونَ ذلك دعاءً له وإنذارًا، ثم كثُر حتى سُمى الدعاء تثويبًا، فقيل ثَوَّب الداعى، وقيل: هو تَرديد الدعاء، تفعيل من ثاب يثوب إذا رجع وعاد، وهى المثابة، ومنه ثاب المريض إذا أقبل إلى البّرء وسَمِن بعد الهُزال"(٢).

وقال الخطّابيّ:" قولهُ: "ثُوّبَ بالصَّلاة" أى دُعِى إليْها، والأصْلُ فى التَّثْويب: أنّ الرَجُلَ إذَا جاء فَزِعًا أو مُسْتَصْرِخًا لوَّح بثَوْبه، وكان ذَلِكَ كالدُّعاء والإنْذار، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حتى سُمِّى الدُّعاء تَثْوِيبًا.

---

١ – الزاهر فى معانى كلمات الناس لابن الأنبارى– تحقيق د/ حاتم الضامن–٤٧/١– مؤسسة الرسالة– بيروت– ط١–١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢ – المغرب فى ترتيب المعرب للمُطَرِّزى– تحقيق/ محمود فاخورى، عبد الحميد مختار– ١٢٦/١–مكتبة أسامة بن زيد– حلب– ط١– ١٩٧٩م.

قال ذُو الرُمَّة(١):

وإنْ ثـوَّبَ الـدَّاعى لهـا يـا لخِنْـدِفٍ فيـا لَـكَ مِـن دَاعٍ مُعَـزٍّ ومُكْـرَمِ

والعَامَّةُ لا تعرفُ التَّثويبَ فى الأَذان إلا قولَ الْمُؤذّن فى أذان الفَجْر: الصّلاةُ خَيْرٌ من النَّوْم، قَالَ: وإنّما سُمِّى هذا القولُ تثويبا لأن المؤذن يرجع إِلَيْهِ مرة بعد أُخْرَى فيَقُوله، يُقالُ: ثابَتْ إلى المريض نَفْسُه إذَا رجَعتْ إِلَيْهِ قُوَّتُه، وثابَ إلى المرْءِ عَقْلُه، ومنه اشْتُقّ الثّوابُ وتأويلُه ما يَثُوب إليك من فَضْلِ الله في جزاء الأعمال الصالحة، وبه سُمِّيت المرأةُ ثَيِّبًا؛ وذلك لأنّها تَثُوبُ إلى أَهْلِها من بيت زوجها"(٢).

يتضح من خلال ما سبق أنَّ أصل دلالة لفظة (التثويب) كانت خاصة بمجيء الرجل مستصرخًا، فيلوح بثوبه، ليُرى ويشتهر، فكأنه يريد بإشارته بثوبه وإعادتها وتكريرها أن يُغيثَهُ الناسُ، ثم كثُرَ هذا الاستعمال وأصبح عامًا، حتى أطلقُوا على المؤذن إذا حيعل فى الأذان، وإذا كرر قوله فى أذان الفجر: (الصلاة خيرٌ من النوم)، ثمَّ كثر حَتَّى سُمى الدُّعَاء تثويبًا.

---

١ – البيت من الطويل وهو في ديوان ذى الرمة– تحقيق د/عبد القدوس أبو صالح –٢/١١٨٦– مؤسسة الإيمان– ط١–١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، (خندف): أسرع، جاء في اللسان: وظُلِمَ رجلٌ أَيام الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فَنَادَى: يَا لخِندِفَ، فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ، وَهُوَ يَقُولُ: أُخَنْدِفُ إليكَ أَيُّها الْمُخَنْدِفُ، وَاللَّهِ لَئِنْ كنتَ مَظْلُومًا لأَنْصُرَنَّكَ، الخَنْدَفَةُ الهَرْوَلةُ والإِسراعُ فِي المشْي، ينظر: اللسان ٩/٩٩.

٢ – غريب الحديث للخطابى– تحقيق د/عبد الكريم الغرباوى – ١/٧١٦–دار الفكر–دمشق– ط١–١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢- لفظ (التُّحْفة)

فى حديث: «تُحْفَة الصَّائِمِ الدُّهْن والمِجْمَر»(١).

قال ابن الأثير:" يَعْنِي أَنَّهُ يُذهب عَنْهُ مشَقَّةَ الصَّوْمِ وشِدَّته، والتُّحْفَة: طُرْفة الْفَاكِهَةِ، وَقَدْ تُفْتَحُ الحاءُ، وَالْجَمْعُ التُّحَف، ثُمَّ تُستعملُ فِي غَيْرِ الفاكهةِ مِنَ الأَلْطاف والنَّعَص"(٢).

ذكر ابن الأثير أنَّ لفظ (التحفة) يستعمل فى معنى الفاكهة بأصله، ثم يستعملُ فى غير الفاكهة أيضًا، وفى التهذيب للأزهرى:" قَالَ اللَّيْث: التُّحْفَةُ أبدلت التَّاء فِيهَا من الْوَاو، إلاّ أَن هَذِه التَّاء تلْزم تصريف فعلهَا إلاّ فِي التفعّل، فَإِنَّهُ يُقَالُ: يَتَوَحَّف، وَيَقُولُونَ: أَتْحَفْتُه تُحْفَةً يَعْنِي طُرَفَ الْفَوَاكِه وَغَيرهمَا من الرياحين، قلت: وأصلُ التُحَفَة وُحَفَة..."(٣).

وكذا فى العين، واللسان، والتاج(٤)، حيث قال الزبيدى:" التُّحَفَةُ، بِالضَّمِّ كَهُمَزَة، نَقَلَهَا الجَوْهَرِيُّ، والصَّاغَانِيُّ: ما أَتْحَفْتَ به الرَّجُلَ مِن البِرّ واللَّطَف، مُحَرَّكَةً، وفى بعض النُّسَخِ بِالضَّمِّ، التُّحْفَةُ: الطُّرْفَةُ مِن الْفَاكِهَةِ وغيرِهَا من الرَّياحِينِ، ج: تُحَفٌ، وقد أَتْحَفْتُهُ تُحْفَةً: إذا أَطْرَفْتَه بها ...، فإنَّهم يقولون: أَتْحَفْتُ الرَّجُلَ تُحْفَةً، وهو يَتَوَحَّفُ، كما

١ - الحديث في سنن الترمذى – تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخران- ١٥٥/٣- مطبعة مصطفى الحلبى- مصر- ط٢- ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
٢ - النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير١٨٢/١.
٣ - تهذيب اللغة للأزهرى- تحقيق محمد عوض مرعب- ٢٥٧/٤– دار إحياء التراث العربى- بيروت- ط١ – ٢٠٠١م.
٤ - ينظر: العين ١٩٣/٣، ولسان العرب ٩/ ١٧، وتاج العروس ٥٢/٢٣.

يقولون: يَتَوَكَّفُ، قَالَهُ اللَّيْثُ، وكأَنَّهُم كَرِهُوا لُزُومَ البَدَلِ هنا؛ لاجْتِماعِ المِثْلَيْنِ، فرَدّوه إِلَى الأَصْلِ، فإِنْ كانَ عَلَى ما ذَهَبَ إِليه فتُذْكَرُ فى(و ح ف)".

من خلال ما سبق يتضح أنَّ لفظ (التحفة) بسكون الحاء وفتحها كان يستعمل فى طرفة الفاكهة، ثم كثُر استعماله فى غير الفاكهة، فقال الجوهرىُّ:" التُحْفَةُ: ما أَتْحَفْتَ به الرجلَ من البِرِّ واللَطَف. وكذلك التُحَفَةُ بفتح الحاء، والجمع تُحَفٌ"(١).

وقد ورد أيضًا استخدامه فى كتاب العامى الفصيح:" أَتْحَفَهُ: التحفة، والمتحف من كلام العامة، وهم يقولون: فلان تحف فلانًا، أَى أَكرمه بهدية"(٢)، وقال الفارابى:" أَتْحَفَه بالشَّيء من التُّحْفَة، والتُّحْفَةُ: العَطِيَّة"(٣).

٣- لفظ (الاستحمام):

فى حديث: «لَا يبُولَنّ أحدُكم فِي مُسْتَحَمِّهِ»(٤).

قال ابن الأثير:" الْمُسْتَحَمّ: الْمَوْضِعُ الَّذِى يُغْتَسل فِيهِ بالحَمِيم، وَهُوَ فِى الْأَصْلِ: الْمَاءُ الحارُّ، ثُمَّ قِيلَ للاغتِسال بأىِّ مَاءٍ كَانَ اسْتِحْمَامٌ، وَإِنَّمَا نُهى عَنْ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسْلَك يَذْهَب فِيهِ البَوْل، أَوْ كَانَ الْمَكَانُ صُلْبا فيُوهِم المغْتَسِلَ أَنَّهُ أَصَابَهُ مِنْهُ شَيءٌ فيَحْصُل مِنْهُ الوَسْواس"(٥).

---

١ - الصحاح للجوهرى- تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار-١٩/٤-دار العلم للملايين- بيروت- ط٤- ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢ - العامى الفصيح- مجمع اللغة العربية- القاهرة- ١/٣.

٣ - ديوان الأدب للفارابى- تحقيق د/ أحمد مختار عمر- ٣١٣/٢- مؤسسة الشعب- القاهرة- ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤ - الحديث في سنن النسائى – تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة- ٣٤/١- مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب- ط٢- ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٥ - النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير١/٤٤٥.

ذكر ابن الأثير أنَّ لفظ (الْمُستحم) يدُلُّ على الموضع الذى يُغتسلُ فيه بالحميم، أى: الماء الحار، على اعتبار أصله، ثم قيل للاغتسال بأىِّ ماءٍ كان هذا الاستحمامُ، ووافقه فى ذلك ابن عمر الأصبهانى(١)، وابن منظور (٢)، حيث قالا:" المسْتَحَمُّ: الموضِع الذى يُغتَسل فيه بالحَمِيم، وهو الماءُ الحَارُّ، ومنه حَدِيثُ ابنِ عَبَّاس، رَضِى اللهُ عنهما: [أن امْرأَة استحَمَّت من جَنَابَة، فَجاءَ النَّبِى ﷺ يَستَحِمُّ من فَضْلِها] (٣).
أَصلُ الاستِحْمام: أن يكون بالحَمِيم، ثم يقال للاغْتِسَال: الاسْتَحْمام، بأَىِّ ماءٍ كان".

وقال الفيومى:" وَالْحَمِيمُ: الْمَاءُ الْحَارُّ، وَاسْتَحَمَّ الرَّجُلُ: اغْتَسَلَ بِالْمَاءِ الْحَمِيمِ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اُسْتُعْمِلَ الِاسْتِحْمَامُ فِي كُلِّ مَاءٍ"(٤).

وذكر د/ قلعجى أنَّ:" المستحَمّ: بضم الميم وفتح الحاء، من: حَمّ الشيء إذا سخن، واستحمَّ فلان: اغتسل بالماء الحار، ثم صار كلُّ اغتسالٍ استحمامًا، والمستحَمّ: مكانُ الاستحمام"(٥).

---

١ – المجموع المغيث فى غريبى القرآن والحديث لابن عمر الأصبهانى– تحقيق/ عبد الكريم العزباوى– ١/٥٠١– دار المدنى– السعودية–ط١– ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٢ – لسان العرب ١٢/ ١٥٤.

٣ – الحديث فى مسند أحمد– ٤/٣٤٣– حديث رقم(٢٥٦٦).

٤ – المصباح المنير للفيومى– ص ٩٩– دار الحديث– القاهرة– ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، وينظر: التوقيف على مهمات التعريف– زين الدين محمد المناوى– ص١٤٧– عالم الكتب– ط١– ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، وأنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء– قاسم القونوى– تحقيق/ يحيى حسن– ص٩٧– دار الكتب العلمية– بيروت– ط١– ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٥ – معجم لغة الفقهاء– محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي– ص٤٢٧– دار النفائس– ط٢– ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

من خلال ما سبق يتضح أنَّ لفظ (الاستحمام) كان يدلُّ على الماء الحار، ثم توسعت دلالته ليدُل على كلِّ ماءٍ، وهذا ما ذكره ابن الأثير، وأيّده العلماء فى ذلك.

٤- لفظ (السوأة)

فى حديث: الحُدَيبية والمُغِيرة: «وَهَلْ غَسَلْتَ سَوْأَتَكَ إلاَّ أمْسِ»(١).

قال ابن الأثير:" السَّوْأَةُ فِي الْأَصْلِ الفَرْج، ثُمَّ نُقِل إِلَى كُلّ مَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ إِذَا ظَهَر مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَهَذَا الْقَوْلُ إِشَارَةٌ إِلَى غَدْرٍ كَانَ المغيرةُ فَعله مَعَ قَوْمٍ صَحِبُوه فِي الجاهليَّة فقتَلَهم وأخَذَ أَمْوَالَهُمْ"(٢).

ذكر ابن الأثير أنَّ لفظ (السوأة) يدُلُّ على الفَرْج، ثم انتقل إلى العموم ليدُلَّ على كلِّ شيءٍ يُستحْيَا منه قولًا كان أو فعلًا، وهذا من باب أدب تعبير القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حيث ينْأَى الشارع الحكيم استعمال الألفاظ الخادشة للحياء وإبدالها بألفاظٍ فيها أدبٌ وتلطفٌ، وهذا أمرٌ واضحٌ في أسلوب القرآن الكريم، فمثلًا عند تفسير قوله تعالى:﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ﴾(٣)، يقول الإمام الرازى:" السوأةُ: فَرْجُ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ ظُهُورَهُ يَسُوءُ الْإِنْسَانَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَتْ قَدْ أُلْبِسَا ثَوْبًا يَسْتُرُ عَوْرَتَهُمَا، فَلَمَّا عَصَيَا زَالَ عَنْهُمَا ذَلِكَ الثَّوْبُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى:﴿... فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾(٤)"(٥).

---

١ - الحديث في مسند أحمد- تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون- ٢١٥/٣١- مؤسسة الرسالة- ط١- ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢ - النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير٤١٦/٢.

٣ - سورة المائدة: ٣١.

٤ - سورة الأعراف: ٢٢.

٥ - مفاتيح الغيب للرازى ٢١٨/١٤- دار إحياء التراث العربى – بيروت – ط ٣ - ١٤٢٠هـ/ ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

وجاء في اللسان:" والسَّوْأَة: العَوْرة وَالْفَاحِشَةُ، والسَّوْأَة: الفَرْجُ، اللَّيْثُ: السَّوْأَةُ: فَرْج الرَّجل والمرأَة ...، قَالَ: فالسَّوْأَةُ كلُّ عَمَلٍ وأَمْرٍ شَائِنٍ، يُقَالُ: سَوْأَةً لِفُلَانٍ، نَصْبٌ؛ لأَنه شَتْم ودُعاء"(١).

وأضاف الزبيدى أنَّ:" الفاحِشَةَ، والعَوْرَةَ، السَّوْأَة: الخَلَّةُ القَبِيحَةُ، أَى: الخَصلَة الرَّديئة كالسَّوْآءِ، وكُلُّ خَصْلَة، أَو فعلة قبيحةٍ سَوْآءُ، والسَّوْآءُ: المرأَةُ المخالِفة..."(٢).

من خلال ما سبق يتضح أنَّ لفظ (السوأة) كان يدلُّ على الفرْج، ثم كَثُر استعمالُهُ حتى دلَّ على كلِّ عيبٍ، أو قُبحٍ، وهو أيضًا ما لا يرضاهُ الذوقُ والأدبُ، وتأباهُ الفطرةُ السليمةُ، قال أستاذنا د/ جبل:" المعنى المحورى: عيبٌ، أو نقصٌ (قبحٌ، أو فسادٌ، أو مرضٌ) يخالط ظاهر الشيء أو باطنه: كالبَرَص والمرَض، وفسادِ الخياطة والعمل، ومن ذلك: "السَوْأَة: فرج الرجل والمرأة؛ لأن الفِطَرَ السليمة تستقبح ظهورها..."(٣).

وقد وافق علماءُ اللغة والمعاجم ابنَ الأثير فى هذا اللفظ، وابتعادُ القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة بالتعبير بالكناية عن الألفاظ البذيئة والمذمومة بالألفاظ الحميدة الرقيقة، من باب الأدب الذى حثَّ عليه الشارعُ الحكيم، والنبيُّ الكريمُ عليه الصلاة والسلام، واللغةُ العربيةُ معبرةٌ عنهما، ومِطْوَاعةٌ لهما بألفاظها القوية، ودلالاتها الغنية.

---

١ – لسان العرب لابن منظور ١/٥٧.

٢ – تاج العروس للزبيدى ١/٢٧٤.

٣ – المعجم الاشتقاقى المؤصل لألفاظ القرآن الكريم– د/ محمد حسن جبل– ٢/٩٣٧– مكتبة الآداب– ط١– ٢٠١٠م.

٥- لفظ (الضمد):

فى حديث: عَلِيٍّ «وَقِيلَ لَهُ: أنتَ أمَرْت بقَتْل عُثْمان، فضَمِدَ» أَيِ: اغْتاظَ.

وَفِي حَدِيثِ طَلْحَةَ «أَنَّهُ ضَمَدَ عَيْنَيْه بالصَّبِر وَهُوَ مُحْرِمٍ»(١) أَيْ جَعَله عَلَيْهِمَا ودَاواهُما بِهِ.

قال ابن الأثير:" يُقَالُ ضَمِدَ يَضْمَدُ ضَمَداً- بِالتَّحْرِيكِ- إِذَا اشتدَّ غَيْظُه وغَضَبه، وأَصْلُ الضَّمْد: الشَّدُّ، يُقَالُ: ضَمَدَ رأسَه وجُرْحه: إِذَا شدَّه بالضِّمَاد، وَهِيَ خِرقةٌ يُشدّ بها العُضْو المؤُوف، ثُمَّ قِيلَ: لوضع الدَّواء عَلَى الجُرْح وغَيره، وَإِنْ لَم يُشَدَّ"(٢).

ووافقه الزمخشرى أيضًا، فقال:" الضَمْد: العصب والشد، يُقَال: ضمدت رَأسه بالضماد، وَهِى خرقَة تُلفُّ على الرَّأْس من قبل الصداع، واضمد عَلَيْك ثِيَابك وعمامتك، أَى: شدها، وَمِنْه ضمد الْمَرْأَة وَهُوَ جمعهَا خليلين، وَالْمعْنَى عصب عينه وَعَلَيْهَا الصَّبْر، أَى: وَقد جعل عَلَيْهَا الصَّبْر ولطخها بِهِ، وَقد يُقَال: ضمد الْجُرْح إِذا جعل عَلَيْهِ الدَّوَاء، وَإِن لم يعصبه، وَيُقَال للدواء: الضمادة، والضمادة أَيْضا الْعِصَابَة"(٣).

---

١ - الحديث في صحيح مسلم-تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى- ٨٦٣/٢- دار إحياء التراث العربى- بيروت- دون طبعة، وفى مسند أحمد ١/ ٥٢٧.

٢ - النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير٩٩/٣، والفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشرى – تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم ٣٤٧/٢- دار المعرفة - لبنان.

٣ - الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشرى ٣٤٧/٢.

وسبقه إلى ذلك أيضًا الخليل (١)، وابن دريد(٢)، والأزهرى(٣).

وقال ابن فارس:" الضَّادُ وَالْمِيمُ وَالدَّالُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ وَتَجَمُّعٍ، مِنْ ذَلِكَ ضَمَدْتُ الشَّيْءَ أَضْمِدُهُ، إِذَا جَمَعْتَهُ، وَالضِّمَادُ: الْعِصَابَةُ، يُقَالُ: ضَمَدْتُ الْجُرْحَ، وَيَقُولُونَ: الضَّمْدُ، بِسُكُونِ الْمِيمِ: أَنْ تَتَّخِذَ الْمَرْأَةُ صَدِيقَيْنِ. وَمِنَ الْبَابِ الضَّمَدُ – بِفَتْحِ الْمِيمِ– وَهُوَ الْغَيْظُ، يُجْمَعُ فِي الصَّدْرِ وَلَا يُزَاحُ فَيَخِفُّ، قَالَ النَّابِغَةُ(٤):

وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مُعَاقَبَةً تَنْهَى الظَّلُومَ وَلَا تَقْعُدْ عَلَى ضَمَدِ

يُقَالُ: ضَمِدَ يَضْمَدْ ضَمَدًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَفَصَلَ قَوْمٌ بَيْنَ الْغَيْظِ وَالضَّمَدِ، فَقَالُوا: الضَّمَدُ: أَنْ يَغْتَاظَ عَلَى مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَالْغَيْظُ أَنْ يَغْتَاظَ عَلَى مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَمَنْ لَا، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ النَّابِغَةِ، وَالْقِيَاسُ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَاحِدٌ، وَيُقَالُ الضَّمَدُ، بِفَتْحِ الْمِيمِ: الْغَابِرُ مِنَ الْحَقِّ...."(٥).

---

١ – العين ٢٤/٧.

٢ – جمهرة اللغة ٦٥٩/٢.

٣ – تهذيب اللغة ٦/١٢ ، ٧.

٤ – البيت من البسيط وهو في ديوان النابغة الذبياني– تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم– ص٢١– دار المعارف– ط٢– دون سنة طبع، وجاء في اللسان: (ولا تقعد على ضمد) أي: اشتدَّ غيظه وغضبه، وفَرَق قَوْمٌ بَيْنَ الضَّمَد والغَيْظِ، فَقَالُوا: الضَّمَد أَن يَغْتَاظَ عَلَى مَنْ يَقْدِر عَلَيْهِ، والغيظُ أَن يَغتاط عَلَى مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَمَنْ لَا يقدِرُ... ينظر: اللسان ٢٦٥/٣.

٥ – مقاييس اللغة ٣٧٠/٣.

٦- لفظ (عقيلة):

فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ «الْمُخْتَصّ بعَقَائِل كراماتِه» جمْع عَقِيلَة، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ: الْمَرْأَةُ الْكَرِيمَةُ النَّفِيسَةُ، ثُمَّ اسْتُعْمِل فِي الْكَرِيمِ النَّفِيس مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الذَّوات والمعانِي"(١).

قال ابن الأثير:" عقائل جمع عقيلة، وهي في الأصل: المرأة الكريمة النفيسة، ثم استُعمل في الكريم النَّفيس من كل شيءٍ من الذَّوات والمعاني"، وقد نصَّت المعاجم على هذا التعميم لهذه اللفظة، ففي التاج(٢):" العقيَلةُ من النِّساء كسفيَنة: الكريمة المخَدَّرة النَّفيسة هذا هو الأَصلُ، ثمَّ استُعملَ في الكريم من كلِّ شيءٍ من الّذوات والمعاني، ومنه عقائلُ الكلام، العقيَلةُ من القَومِ: سيِّدُهُم، العقيلةُ من كلِّ شيءٍ: أَكرمه، قال طرفة(٣):

أَرَى المَوتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ ويَصْطَفِي عَقِيلَةَ مالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ

وكذا جاء في العين:" يعني بالعَقائل الدُرّ، واحدتها عَقيلةٌ، وقال امرؤ القيس في العقلية وهو يُريدُ المرأة المخَدَّرةَ(٤):

عَقيلةُ أخدانٍ لها لا دَميمةٌ ولا ذاتُ خَلقٍ إنْ تأمَّلت جَأْنبِ

---

١ - النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير٢٨٢/٣.

٢ - تاج العروس للزبيدى ٢٩/٣٠، لسان العرب لابن منظور ٤٦٣/١١.

٣ - البيت من الطويل، وهو في ديوان طرفة- تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي- ص٣٤- دار المعرفة- بيروت- ط١- ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤ - البيت من الطويل، وهو في ديوان امرئ القيس- اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي ، وفيه:(عقيلة أترابٍ- بدلًا من: عقيلة أخدانٍ) - ص٧٤- دار المعرفة- بيروت- ط٢- ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، والعقيلة: الكريمة المخدّرة، الجأنب: القصير القبيح.

وفلانةُ عقلية قومها، وهو العالي من كلام العرب، ويُوصفُ به السيد، وعَقيلةُ كل شيءٍ: أكرمه"(١).

وفي اللسان:" قالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: العَقِيلة: الدُّرَّة فِي صَدَفتها، وعَقائِلُ الإِنسان: كرائمُ مَالِهِ، قَالَ الأَزهري: العَقيلة: الكَرِيمة مِنَ النِّسَاءِ والإِبل وَغَيْرِهِمَا، وَالْجَمْعُ العَقائِلُ، وعاقُولُ الْبَحْرِ: مُعْظَمُه، وَقِيلَ: مَوْجه"(٢).

من خلال ما سبق يتضح أنَّ دلالةَ لفظ (عقيلة) كان خاصًّا بالمرأة الكريمة في قومها، ثم أطلق على عموم كلِّ شيءٍ نفيسٍ، قال الرازى:" الْعَقِيلَةُ: كَرِيمَةُ الْحَيِّ وَكَرِيمَةُ الْإِبِلِ، وَعَقِيلَةُ كُلِّ شَيْءٍ أَكْرَمُهُ"(٣).

وقال أبو عمرو الشيبانى:" يقال للمرأة: إنها عقيلة؛ وللرجل: خيرة قومه؛ وللمرأة: عقيلة قومها؛ قالوا: عقيلة، لأنها تُعقل في معقل، إذا أُكرمت؛ أي: تُصان، والرجل لا يعقل، فلم يُسمَّ عقيلاً"(٤).

وأوضح الثعالبيُّ ذلك فقال:"كُلُّ كَرِيمَةٍ منَ النساءِ والإبلِ والخَيْل وَغَيْرِها فهي عَقِيلة"(٥)، وقد وافق ابن الأثير كلَّ علماء اللغة وأصحاب المعاجم العربية.

---

١ – العين للخليل ١/١٦٠.

٢ – لسان العرب لابن منظور ١١/٤٦٣.

٣ – مختار الصحاح للرازى – تحقيق: يوسف الشيخ محمد– ص٢١٥– المكتبة العصرية– بيروت– ط٢– ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤ – الجيم لأبى عمرو الشيبانى – تحقيق: إبراهيم الأبيارى– ١/٢٣٥– الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية– القاهرة– ط٢– ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٥ – فقه اللغة للثعالبى– تحقيق: عبدالرزاق المهدى– ص٢٥– دار إحياء التراث العربى–بيروت– ط١– ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٧- لفظ (التنَطّعَ):

في حَدِيثُ عُمَرَ «لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا عَجَّلْتم الفِطرَ وَلَمَ تَنطَّعُوا تَنطُّعَ أَهْلِ العِراق»

أَيْ تتكلَّفوا الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ.

وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ هَاهُنَا الْإِكْثَارَ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ والتَّوسُّعَ فِيهِ حَتَّى يصِلَ إِلَى الْغَارِ الأَعْلَى.

وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ «إِيَّاكُمْ والتَّنَطُّعَ وَالِاخْتِلَافَ، فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أحدِكم: هَلُمَّ وتَعالَ» أَرَادَ النَّهي عَنِ الملاحاة فِي الْقِرَاءَاتِ المختلِفة، وأنَّ مَرْجِعَها كلِّها إِلَى وَجْهٍ وَاحِدٍ مِنَ الصَّوَابِ، كَمَا أَنَّ هَلُمَّ بِمَعْنَى تَعالَ.

ومنه: «هَلَك الْمُتَنَطِّعُونَ»(١) هُمُ المتعَمِّقون المغالون فِي الْكَلَامِ، المتكلِّمون بأَقْصَى حُلوقهم، مَأْخُوذٌ مِنَ النِّطَعِ، وَهُوَ الغارُ الأعْلى مِنَ الفَم، ثُمَّ استُعْمِل فِي كُلِّ تَعَمُّق، قَوْلًا وَفِعْلًا"(٢).

من خلال كلام ابن الأثير السابق يتضح أنَّ اشتقاق التنطع من نطع الفم، فقيل لكل متقعر في الكلام ومغالٍ فيه: متنطعٌ، لأنه يبالغ في إخراج الكلام من نطع فمه، ثم توسعت دلالة اللفظ وعُممت لتشمل كل مبالغة وتعمق، فَقيل: "تنطَّع الرجل فِي عمله إذا تنطَّس فِيهِ"(٣).

---

١ - الحديث في صحيح مسلم ٤/ ٢٠٥٥، ومسند أحمد ٦/ ١٦٧.

٢ - النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير٥/٧٤، والفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشرى ٣/ ٤٤٤.

٣ - الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشرى ٣/ ٤٤٤.

قال الزمخشرى:" تنطّع في كلامه إذا تفصّح فيه وتعمّق، ورمى بلسانه إلى نطع الفم، ومن مجاز المجاز: تنطّع الصانع: تحذّق في صناعته..."(١)، ووافقه في ذلك الزبيدى(٢).

وقال ابن عمر الأصبهانى:" التَّنطُّعُ: التَّعمُّقُ والتكَلُّفُ في القَول والعَمَلِ، وتَنطَّعَ: أَظهَرَ حِذْقَه في الصِّناعَةِ، وقيل المرَاد به ها هُنا: الإِكثَارُ مِن الأَكْل، والتَّوَسُّع فيه حتى يَصلَ إلى نِطْعِهِ، وهو ما ظَهر من الغارِ الأَعْلَى، وهو أعْلَى الحنَكِ الذي فيه أثارٌ كالتحزِيز"(٣).

ونجد هنا أنَّ هذا اللفظ قد تطوَّر على سبيل التعميم الدلالى من التعمق والمبالغة في الكلام، إلى التعمق والمبالغة مطلقًا، قال ابن الجوزى:" التنطع: التعمق والغلو والإفراط فِي التدقيق، يُقَال: تنطع فلَانٌ فِي كَذَا: إِذا بَالغ فِي اجْتِهَاده"(٤).

٨- لفظ (التيمم):

في حديث: كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ «فَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّور»(٥) أَيْ قَصَدْتُ.

---

١ - أساس البلاغة للزمخشرى- تحقيق: محمد باسل – دار الكتب العلمية- بيروت- ٢/٢٨١- ط١- ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢ - تاج العروس ٢٢/ ٢٦٤.

٣ - المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث٣/ ٣١٣.

٤ -كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزى- تحقيق: على حسين البواب- ١/ ١٢٠- دار الوطن – الرياض.

٥ - الحديث في صحيح البخارى ٣/٦، وصحيح مسلم ٢٠٢١/٤، ومسند أحمد ٢٥/ ٧٢.

قال ابن الأثير:" وأصْلُه فِي اللُّغَة: القَصْد، يُقَالُ: يَمَّمْتُهُ وتَيَمَّمْتُهُ، إِذَا قَصَدْتَه، وأصلُه التَّعَمد والتَّوخِّي، وَيُقَالُ فِيهِ: أَمَّمْتُهُ، وتَأَمَّمْتُهُ بِالْهَمْزَةِ، ثُمَّ كَثُرَ فِي الِاسْتِعْمَالِ حَتَّى صَارَ التَّيمُّم اسْماً عَلَماً لمسْح الوَجه واليَدَين بالتُّراب"(١).

يتضح من كلام ابن الأثير أنَّ لفظ (يمم) كان أصله: القصد، ثم كثُر استعمالُهُ حتى صار التيمم اسمًا علمًا على مسح الوجه واليدين بالتراب، وهذا ما قال به القاسم بن سلام:" فى قَوله تَعَالَى: {فَتَيَمَّمُوْا صَعِيُداً طَيِّباً}(٢)، هَذَا فِي الْمَعْنى وَالله أعلم: تعمدوا الصَّعِيد أَلا ترى بعد ذَلِك يَقُول: {فَامْسَحُوْا بِوُجُوْهِكُمْ وَاَيْدِيْكُمْ مِّنْهُ}، فَكثر هَذَا فِي الْكَلَام حَتَّى صَار التَّيَمُّم عِنْد النَّاس هُوَ التمسح نَفسه، وَهَذَا كثير جَائِز فِي الْكَلَام أَن يكون الشَّيْء إِذا طَالَتْ صحبته للشَّيْء يُسمى بِهِ، كَقَوْلِهِم: ذهب إِلَى الْغَائِط، وَإِنَّمَا الْغَائِط أَصله: المطمئن من الأَرْض، وكالحديث الَّذِي يرْوى أَنه نهى عَن عسب الْفَحْل، وأصل العسب الْكرَى، فَصَارَ الضراب عِنْد النَّاس عسبا، وَمثله فِي الْكَلَام كثير"(٣).

---

١ – النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير٥/٣٠٠.

٢ – سورة المائدة: ٦.

٣ – غريب الحديث للقاسم بن سلام– تحقيق د: محمد عبد المعيد خان– ٢/ –١٢٦– دائرة المعارف العثمانية– حيدر آباد– الدكن– ط١– ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، وغريب الحديث للهروى– تحقيق د: حسين محمد محمد– ٤/ ٨٧– الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية– القاهرة– ط١– ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، وغريب الحديث لابن قتيبة– تحقيق د: عبد الله الجبورى– ١/١٦١– مطبعة العانى– بغداد– ط١– ١٣٩٧هـ.

اتفقت المعاجم اللغوية (١) على أنَّ التيمّم كثُر حتى أصبح عِنْد عوام النَّاس المسْح بِالتُّرَابِ على الوجه واليدين، وَالْأَصْل فِيهِ: القَصْد، والتوخِّي، والتعمد، وذلك على سبيل التوسع الدلالى لهذا اللفظ، كما وضَّح ابن الأثير.

٩- لفظ: (حَنْتَمٌ):

فى حديث «أَنَّهُ نَهى عَنِ الدُّبَّاء والحَنْتَمِ»(٢).

قال ابن الأثير:" الحَنْتَمُ: جِرَار مدْهُونة خُضْرٌ، كَانَتْ تُحْمَل الخمْر فِيهَا إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ اتُّسِع فِيهَا، فَقِيلَ: لِلْخَزَف كُلِّهِ حَنْتَم، واحدَتها حَنْتَمَةٌ"(٣).

ذكر ابن الأثير أنَّ لفظ "حنتم" كانت تدلُّ على الجِرار التى يُحملُ فيها الخمر أيام الجاهلية إلى المدينة، ثم توسَّعت دلالته، وأصبحت تدل على كلِّ خزفٍ، وجاء فى اللسان:"كَانَتْ تُحْمَلُ إِلى الْمَدِينَةِ فِيهَا الخمرُ، قَالَ الأَزهري: وَقِيلَ لِلسَّحَابِ: حَنْتَم وحَناتم لِامْتِلَائِهَا مِنَ الْمَاءِ، شُبِّهَتْ بحَناتم الجِرار الْمَمْلُوءَةِ، وإِنما نَهَى عَنِ الِانْتِبَاذِ فِيهَا؛ لأَنها تُسْرِعُ الشدةُ فِيهَا لأَجل دَهْنِهَا، وَقِيلَ: لأَنها كَانَتْ تُعْمل مَنْ طِينٍ يُعْجَنُ بِالدَّمِ وَالشَّعْرِ، فَنَهَى عَنْهَا لِيُمْتنَع مِنْ عَمَلِهَا، والأَول الْوَجْهُ" (٤).

---

١ - تهذيب اللغة للأزهرى١٥/٤٥٩، والصحاح للجوهر ٥/٢٠٦٤، ومختار الصحاح لأبى بكر الرازى ص٣٤٩- لسان العرب ١٢/ ٢٣.

٢ - الحديث في صحيح البخارى ٤/١٧٨، وصحيح مسلم ٣/ ١٥٧٩، وسنن ابن ماجه تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون- ٤/٤٨١- دار الرسالة- ط١- ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٣ - النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير١/٤٤٨.

٤ - ينظر: لسان العرب ١٢/ ١٦٢، وتهذيب اللغة للأزهرى ٥/ ٢١٦، ومقاييس اللغة ٢/١٤٧.

١٠- لفظ: (الخَوَضَ):

في حديث: «رُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِي مَالِ اللَّهِ تَعَالَى»(١).

قال ابن الأثير:" أَصْلُ الخَوْضِ: المشْيُ فِي الْمَاءِ وتحرِيكُه، ثُمَّ استُعمْل فِي التَّلبُّس بِالْأَمْرِ والتصرُّف فِيهِ: أَيْ رُبَّ مُتَصَرِّفٍ فِي مَالِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا لَا يَرْضاه اللَّهُ، والتَّخَوُّضُ: تفَعُّل مِنْهُ، وَقِيلَ هُوَ التَّخْليط فِي تَحْصيله مِنْ غَيْرِ وجهه كيْف أمْكَن"(٢).

ذكر ابن الأثير أنَّ لفظ (الخوض) أصله: المشى في الماء، ثم توسعت دلالته ليدُلَّ على التلبُّس في الأمر، وهذا ما قاله علماء اللغة، فذكر الخليل أنَّ:" خوض: خُضْتُ الماء خَوْضاً وخِياضاً، وخَوَّضتُ تَخويضًا أي: مَشَيْتُ فيه، والخَوْضُ: اللبس في الأمر، والخَوْض من الكلام: ما فيه الكذب والباطل"(٣).

قال الأزهرى:" خوض، خيض: قَالَ الليثُ: خُضْتُ الماءَ، خَوْضًا وخِيَاضًا، واخْتَاضَ اخْتِياضًا، وخَوَّضَ تَخْوِيضًا، قَالَ: والْخَوْضُ: اللبْسُ فِي الْأَمر، والْخَوْضُ: الْمَشْيُ فِي الماء، والخَوْضُ من الْكَلَام: مَا فِيهِ الكَذِبُ والباطلُ، والْمِخْوَضُ: مِجْدَحٌ يُخَاضُ بِهِ السَوِيقُ، وَقَالَ غيرُه: خُضْتُه بالسَّيْفِ أَخُوضُه خَوْضًا"(٤).

---

١ - الحديث في مسند أحمد ٤٤/٦٠٧.

٢ - النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/٨٨، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ١/ ٦٢٦.

٣ - العين للخليل ٤/٢٨٢، وجمهرة اللغة لابن دريد- تحقيق: رمزى منير- ١/ ٦٠٩- دار العلم للملايين- بيروت- ط١- ١٩٨٧م.

٤ - ينظر: تهذيب اللغة ٧/ ١٩٦.

وجاء في اللسان أيضًا:" خوض: خَاضَ الماءَ يَخُوضه خَوْضًا وخِياضًا، واخْتاضَ اخْتِياضًا، واخْتاضَه وتَخَوَّضَه: مَشَى فِيهِ...، وأَخاضَ فِيهِ غَيْرَهُ وخَوَّضَ تَخْويضاً، والخَوْضُ: المشْيُ فِي الْمَاءِ، وَالْمَوْضِعُ مَخاضةٌ، وَهِيَ مَا جازَ الناسُ فِيهَا مُشاةً ورُكْباناً...، أَصْل الخَوْض المشيُ فِي الْمَاءِ وتحريكُه، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي التَّلَبُّسِ بالأَمر وَالتَّصَرُّفِ فِيهِ، أَي رُبَّ مُتَصَرِّفٍ فِي مَالِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ...، والخَوْضُ: اللَّبْسُ فِي الأَمر، والخَوْضُ مِنَ الْكَلَامِ: مَا فِيهِ الْكَذِبُ وَالْبَاطِلُ، وَقَدْ خاضَ فِيهِ، وخاضَ القومُ فِي الْحَدِيثِ وتَخاوَضُوا أَي: تَفَاوَضُوا فِيهِ، وأَخاضَ القومُ خيلَهم الماءَ إِخاضةً إِذا خَاضُوا بِهَا الْمَاءَ، وَيُقَالُ: خاضَه بِالسَّيْفِ أَي: حَرَّكَ سيْفه فِي المِضْرُوبِ، وَيُقَالُ: خُضْتُه بِالسَّيْفِ أَخُوضُه خَوْضاً وَذَلِكَ إِذا وَضَعْتَ السَّيْفَ فِي أَسفل بَطْنِهِ ثُمَّ رَفَعْتَهُ إِلى فَوْق... "(١).

من خلال ما سبق يتضح أن هذه اللفظة (خوض) أصل دلالتها على المشى في الماء، ثم اتسعت دلالتها لتدلَّ على التلبس في الأمر، والكذب والباطل من الكلام، وهذا ما قاله ابن الأثير، وأيدهُ فيه أصحاب المعاجم العربية وأهل اللغة.

١١- لفظ (رَغَمَ):

فِي حديث «أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: رَغِمَ أنفهُ، رَغِمَ أنفُه، رَغِمَ أنفُه، قِيلَ مَن يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا حَيًّا وَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»(٢).

قال ابن الأثير:" يُقَالُ رَغِمَ يَرْغَمُ، ورَغَمَ يَرْغَمُ رَغْمًا ورِغْمًا ورُغْمًا، وأَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ: أَيْ ألصَقه بِالرَّغَامِ وَهُوَ التُّرَابُ، هَذَا هُوَ الأصلُ، ثُمَّ استُعْمل فِي الذُّل وَالْعَجْزِ عَنِ الانْتصاف، والانْقياد على كُرْه"(٣).

---

١ - لسان العرب ٧/ ١٤٧، وتاج العروس ١٨/ ٣٢٢.

٢ - الحديث في صحيح مسلم ٤/ ١٩٧٨.

٣ - النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير٢/٢٣٨.

ذكر ابن الأثير أنَّ لفظ (رغم) يدل في الأصل على الالتصاق بالتراب، ثم استُعمل في الذلّ والعَجز والكُره، وهذا ما أيّده العلماء، فقال ابن الأنبارى:" وقولهم: أَرْغَمَ اللهُ أَنْفَهُ، قال الأصمعي: الرَّغْم: كل ما أصاب الأنف مما يُؤذيه ويُذِلّه، والرغم أيضًا: المساءة والغضب، يقال: قد فعلت كذا وكذا، وعلى رغم فلان، معناه: على غضبه ومساءَتِه، قال أبو بكر: أنشدنا أبو العباس للمُسَيّب بن عَلَس(١):

تبيتُ الملوكُ على رَغْمِها وشيبانُ إنْ غضبت تعتبُ

وقال ابن الأعرابي وأبو عمرو: معنى أرغم الله أنفه: عفّره [الله] بالرَّغام، والرغام: تراب يختلط فيه رمل"(٢).

وقال ابن فارس:" (رَغَمَ) الرَّاءُ وَالْغَيْنُ وَالْمِيمُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا التُّرَابُ، وَالْآخَرُ الْمَذْهَبُ. فَالْأَوَّلُ الرَّغَامُ، وَهُوَ التُّرَابُ، وَمِنْهُ " أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ " أَيْ أَلْصَقَهُ بِالرَّغَامِ...، قَالَ الْخَلِيلُ: الرَّغْمُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَكْرَهُ الْإِنْسَانُ، وَرَغَمَ فُلَانٌ، إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الِانْتِصَافِ، قَالَ: وَالرَّغَامُ: اسْمُ رَمْلَةٍ بِعَيْنِهَا، وَيُقَالُ رَاغَمَ فُلَانٌ قَوْمَهُ: نَابَذَهُمْ وَخَرَجَ عَنْهُمْ.

وَالْأَصْلُ الْآخَرُ الْمُرَاغَمُ، وَهُوَ الْمَذْهَبُ وَالْمَهْرَبُ، فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿*وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (٣)، وَقَالَ الْجَعْدِيُّ(٤):

---

١ – البيت من المتقارب وهو في ديوانه– تحقيق د: عبد الرحمن الوصيفى– وفيه (عَتْبِها بدلًا من رَغْمِها) ص٢٦– مكتبة الآداب– ط١– ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢ – الزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ٢٢٩.

٣ – سورة النساء: ١٠٠.

٤ – البيت من المتقارب وهو في ديوان النابغة الجعدى– تحقيق د: واضح الصمد– ص٤٤– دار صادر – بيروت– ط١– ١٩٩٨م، وجاء في اللسان: وهو مأْخوذ مِنَ الرَّغام وَهُوَ التُّرَابُ، وَقِيلَ: مُراغَماً مُضْطَرَباً. وَعَبْدٌ مُراغِمٌ أَي مضطربٌ، ينظر: اللسان ٢٤٧/١٢.

كَطَـــــودٍ يُـــــلاذُ بأركانـــــه عَزِيـــــزِ الْمُـــــرَاغَمِ وَالْمَهْـــــرَبِ

وَيُقَالُ: مَالِي عَنْ ذَاكَ الْأَمْرِ مُرَاغَمٌ، أَيْ مَهْرَبٍ، وَمِمَّا شَذَّ عَنِ الْأَصْلَيْنِ الرُّغَامَى، قَالَ قَوْمٌ: هِيَ الْأَنْفُ؛ وَقَالَ آخَرُونَ: زِيَادَةُ الْكَبِدِ"(١).

وقال الهروى:" (رغم أنفه) أي: لصوقه بالتراب، وهو الرغام، وفي حديث معقل بن يسار: (رغم أنفي لأمر الله) أي: ذل وانقاد: لأني أمس به التراب، وفي الحديث: (وإن رغم أنف أبي الدرداء) رواه ابن الأعرابي: (وإن رغم) بفتح العين أي: ذل، وقيل: وإن اضطرب أبو الدرداء على قول الفراء، وقيل: وإن كره أبو الدرداء، يقال: ما أرغم من ذاك شيئا أي: ما أكرهه، وكل ذلك راجع إلى معنى واحد، وقد رغم يرغم رغما، إذا لم يقدر على الانتصاف، والرغم: الذلة، قاله شمر"(٢).

وذكر المُطَرِّزِيّ أَنَّ:" قَوْلَهُ (تَرْغِيمًا) لِلشَّيْطَانِ أَيْ: إذْلَالًا، يُقَالُ: رَغَمَ أَنْفِهِ، وَأَرْغَمَهُ، وَالرُّغْمُ الذُّلُّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ الرُّغْمُ، يَعْنِي حَتَّى يَخْضَعَ وَيَذِلَّ، وَيَخْرُجَ مِنْهُ كِبْرُ الشَّيْطَانِ، وَقَدْ (رَاغَمَهُ) إذَا فَارَقَهُ عَلَى رَغْمِهِ، (وَمِنْهُ) إذَا خَرَجَ مُرَاغِمًا، أَيْ: مُغَاضِبًا، وَالْمُرَاغَمُ الْمَهْرَبُ"(٣).

وذكر الفيومى أنَّ هذا من الأمثال التي وضعها العلماء لمعانٍ غير معانى الأسماء الظاهرة، فقال:" الرَّغَامَ بِالْفَتْحِ التُّرَابُ، وَرَغَمَ أَنْفُهُ رَغْمًا مِنْ بَابِ قَتَلَ، وَرَغِمَ مِنْ بَابِ تَعِبَ لُغَةٌ، كِنَايَةٌ عَنْ الذُّلِّ، كَأَنَّهُ لَصِقَ بِالرِّغَامِ هَوَانًا، وَيَتَعَدَّى بِالْأَلِفِ فَيُقَالُ: أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ، وَفَعَلْتُهُ عَلَى رَغْمِ أَنْفِهِ بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ، أَيْ: عَلَى كُرْهٍ مِنْهُ، وَرَاغَمْتُهُ غَاضَبْتُهُ، وَهَذَا

---

١ – مقاييس اللغة ٢/ ٤١٣، وينظر: الصحاح ٥/ ١٩٣٤، ولسان العرب ١٢/ ٢٤٥.

٢ – الغريبين في القرآن والحديث للهروى– تحقيق: أحمد فريد المزيدى– ٣/ ٧٥٧– مكتبة نزار مصطفى الباز– السعودية– ط١– ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٣ – المغرب في ترتيب المعرب للمطرزى– ص٣٣٦.

تَـرْغِيمٌ لَـهُ، أَيْ إِذْلَالٌ وَهَـذَا مِـنْ الْأَمْثَـالِ الَّـتِي جَـرَتْ فِي كَلَامِهِـمْ بِأَسْمَـاءِ الْأَعْضَـاءِ وَلَا يُرِيدُونَ أَعْيَانَهَا بَلْ وَضَعُوهَا لِمَعَانٍ غَيْرِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الظَّاهِرَةِ وَلَا حَظَّ لِظَاهِرِ الْأَسْمَاءِ مِنْ طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ كَلَامُهُ تَحْتَ قَدَمَيَّ وَحَاجَتُهُ خَلْفَ ظَهْرِي يُرِيدُونَ الْإِهْمَالَ وَعَدَمَ الِاحْتِفَال"(١).

قال أبو بكر الصولى:" ويقال: أرغم الله أنفه، خصَّ الأنف؛ لأنه اطَّلع ما في الوجه، والرغام: التراب يراد كَبَّهُ الله على وجهه، فإن أول ما يلصق منه التراب بالأنف، وقالوا: على رغم أنفه، ثم كثر حتى قالوا: على رغمه فألقوه الأنف"(٢)، ومن هنا يتضح أنَّ هذا اللفظ توسعت دلالته بعد أن كانت مقصورةً على معنًى بعينه.

١٢- لفظ (طَيف):

فِي حَدِيثِ الْمَبْعَث «فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: قَدْ أصَاب َهذا الغُلامَ لَمَمٌ، أَوْ طَيْف مِنَ الجنِّ»(٣).

قال ابن الأثير:" أَيْ عَرَض لَهُ عارِضٌ مِنْهُمْ، وأَصْلُ الطَّيْف: الجُنُونُ، ثُمَّ اسُتْعمِل فِي الغَضب، ومَسِّ الشَّيْطَانِ ووسْوسَته، وَيُقَالُ لَهُ طَائِف، وَقَدْ قُرِئَ بِهِمَا قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾(٤)، يُقَـالُ طَـافَ يَطِيـفُ،

---

١ - المصباح المنير للفيومى ١/ ٢٣١.

٢ - أدب الكاتب للصولى- تحقيق: محمد بهجة الأثرى- ص ٢٢٧ - المطبعة السلفية – مصر- ط١- ١٣٤١هـ.

٣ - الحديث في صحيح البخارى ٥٨/٦.

٤ - سورة الأعراف: ٢٠١.

ويَطُوفُ طَيْفاً وطَوْفاً، فَهُوَ طَائِف، ثُمَّ سُمّي بالمِصْدر، وَمِنْهُ طَيْف الخيَال الَّذِي يَرَاه النائمُ"(١).

ذكر ابن الأثير أنَّ هذا اللفظ (الطيف) يدل على الجنون في الأصل، ثم توسَّعت دلالته؛ ليدُلَّ على الغضب، ووسوسة الشيطان، كما قال الله تعالى في الآية السابقة، قال الخليل:" الطيف: كلُّ شيءٍ يَغشَى البَصَرَ من وَسواس الشّيطان، فهو طيف"(٢).

وقال الأزهرى:" قال الفراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾، وقرىء: [إِذَا مَسَّهُمْ طَيّفٌ] الطَّائِف والطيْف سَوَاء، وَهُوَ مَا كَانَ كالخَيال، والشيءُ يُلمّ بك.

وروى ابْن أبي نجيح عَن مُجَاهِد –هذه الآية– فقَالَ: الغَضَب...، وقَالَ ابْن عَبَّاس: الطيْفُ الغَضَبُ.

قلتُ: الطَّيْفُ فِي كَلَام العَرَب الجُنون، رَوَاهُ أَبُو عبيد عَن الْأَحْمَر، وَقيل: الغضَبُ طيفٌ؛ لِأَن عَقْلَ من استفزّه الغَضَبُ يَعزُبُ حَتَّى يَصيرَ فِي صُورَة الْمَجْنُون الَّذِي زَالَ عقلُه، وَيَنْبَغِي للعاقل إِذا أحسَّ من نَفسه إفراطًا فِي الغَضب أَن يَذكُر غَضَب الله على المُسْرِفين، فَلَا يُقدم على مَا يوبِقُه، وَقَالَ اللّيث: كلُّ شيءٍ يَغشى البصَر مِن وَسْواسِ الشَّيْطَان فَهُوَ طَيْف"(٣).

---

١ – النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير٣/١٥٣.

٢ – العين للخليل ٧/ ٤٥٩.

٣ – تهذيب اللغة ١٤/ ٢٦.

من خلال ما سبق يتضح أنَّ هذا اللفظ (طيف)، كانت دلالته بمعنى الجنون، ثم توسعت إلى الدلالة على الغضب، ووسوسة الشيطان، وهذا ما ذكره ابن الأثير، متأثرًا فيه بأقوال المفسرين، وعلماء اللغة، وأصحاب المعاجم(١)، الذين وافقهم الرأىَ، والذين تأثروا به من هؤلاء العلماء.

قال الطبرى:" وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ: (طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ) ، لأن أهل التأويل تأولوا ذلك بمعنى الغضب والزلة تكون من المطيف به"(٢).

وقال القرطبى:" قال مُجَاهِدٌ: الطَّيْفُ الْغَضَبُ، وَيُسَمَّى الْجُنُونُ، وَالْغَضَبُ، وَالْوَسْوَسَةُ: طَيْفًا؛ لِأَنَّهُ لَمَّةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تُشَبَّهُ بِلَمَّةِ الْخَيَالِ"(٣).

هذا وقد ورت نماذج كثيرة لهذا التعميم الدلالى في كتاب النهاية لابن الأثير، ولكنِّى أكتفى بهذا القدر من هذه النماذج، وأرجو أن أكون قد وُفقتُ في هذا العرض، وأسأل الله الإخلاص والسداد.

---

١ – ينظر: جمهرة اللغة ٩٢٢/٢، والزاهر في معاني كلمات الناس ٢٩٢/١، ولسان العرب ٢٢٦/٩، وتاج العروس١٠٩/٢٤.

٢ – تفسير الطبرى ٣٣٥/١٣.

٣ – تفسير القرطبى ٣٥٠/٧.

وهذا جدولٌ يوضح الألفاظ المدروسة هنا، وبيانها كالآتى:

م	اللفظة المدروسة
١	التثويب
٢	التُّحفة
٣	الاستحمام
٤	السوأة
٥	الضمد
٦	عقيلة
٧	التنطّع
٨	التيمم
٩	الحنتم
١٠	التخوض
١١	الرغم
١٢	الطيف

الفصل الثانى: التخصيص الدلالى (التضييق فى المعنى).

التخصيص معناهُ فى اللغة: الإفراد، جاء فى اللسان:" خصص: خَصَّهُ بِالشَّيءِ يخُصّه خَصًّا وخُصوصًا وخَصُوصِيّةً وخُصُوصِيّةً، وَالْفَتْحُ أَفصح، وخِصِّيصَى وخصّصَه واخْتصّه: أَفْرَدَه بِهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَيُقَالُ: اخْتصّ فلانٌ بالأَمر وتخصّصَ لَهُ إِذا انْفَرَدَ، وخَصّ غيرَه واخْتصّه بِبِرِّهِ، وَيُقَالُ: فُلَانٌ مُخِصٌّ بِفُلَانٍ أَى خَاصٌّ بِهِ وَلَهُ بِهِ خِصِّيّة"(١).

وفى الاصطلاح: عرفه السيوطى، فقال:" العام المخصوص، وهو ما وُضع فى الأصل عامًا، ثم خُصّ فى الاستعمال ببعض أفراده- مثاله عزيز- وقد ذكر ابن دريد أن الحج أصله: قصْدُ الشيء وتجريدك له، ثم خُصّ بقَصْدِ البيت، فإن كان هذا التخصيص من اللغة صلح أن يكون مثالًا فيه، وإن كان من الشرع لم يصلح؛ لأن الكلام فيما خصته اللغة لا الشَّرْع.

ثم يقول:" ثم رأيتُ له مثالًا فى غاية الحُسْنِ، وهو لفظُ (السبتِ)، فإنَّهُ فى اللغةِ: الدَّهر، ثم خُصَّ فى الاستعمالِ لغةً بأحدِ أيام الأسبوع، وهو فردٌ من أفراد الدَّهر"(٢).

وقد وردت أمثلةٌ لهذا النوع من التطور بتخصيصها، فى كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر، أوردها ابن الأثير وضمَّنها كتابَه هذا، ومن هذه الأمثلة ما يأتي:

١- لفظ (المأتم):

في حديث: "فَأَقَامُوا عَلَيْهِ مَأْتَماً"

---

١ - لسان العرب لابن منظور ٧/ ٢٤ .

٢ - المزهر للسيوطى ١/ ٤٢٧.

قال ابن الأثير:" الْمَأْتَمُ فِي الْأَصْلِ: مُجْتَمَعُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي الغَمِّ والفَرَحِ، ثُمَّ خُصَّ بِهِ اجْتِمَاعُ النِّسَاءِ لِلْمَوْتِ، وَقِيلَ: هُوَ للشَّوَابِّ مِنَ النِّسَاءِ لَا غَيْرُ"(١).

يتضح من كلام ابن الأثير أنَّ لفظ (المأتم) كان عامًا في دلالته على اجتماع الرجال والنساء، ثم خُصَّ به اجتماعُ النساء في الحزن خاصةً، وهذا موافقٌ لكثيرٍ من علماء اللغة، قال أبو بكر الأنبارى: "معنى المأتم في كلام العرب: النساء المجتمعات في فرح أو حزن، وقال الطوسي: يقال للرجال أيضًا إذا اجتمعوا في فرح أو حزن: مأتم، والعامة تغلط في هذا فتظن أن المأتم النوح والنياحة وليس هو هكذا"(٢).

وذكر ابن الأنبارى أنه من قبيل الأضداد، فقال:" وقالَ قُطْرب: المأْتم حرفٌ من الأَضْداد، يقال للنِّساءِ المجتمعات في الحزن: مأْتم، وللمجتمعات في الفرح: مأْتم...، وغير قُطْرب يقول: المأتم لَيْسَ من الأَضْداد؛ لأَنَّه إنَّما يُراد به النِّساء المجتمعات، فاجتماعهنَّ في الفرح كاجتماعهنَّ في الحزْن...، والعامَّة تخطئ فتتوهَّم أَنَّ المأْتم الاجتماع في الحُزن خاصَّة، وقد عرَّفتُك مذاهبَ العرب فيه"(٣).

وقال أبو الحسن الهنائى:" المأَتَمْ أصله مجتمع النساء، أو الرجال في فرحٍ أو حزنٍ...، ثم كثُر ذلك حتى جعلوه في الحزن خاصة"(٤).

---

١ – النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير١/٢١، ٤/٢٨٨.

٢ – الزاهر في معاني كلمات الناس١/١٦٣، وينظر: تهذيب اللغة ١٤/٢٤٢، والمغرب في ترتيب المعرب للمطرزى– ص١٨.

٣ – الأضداد لابن الأنباري– تحقيق: محمد أبو الفضل– ص١٠٣– المكتبة العصرية– بيروت– ط١– ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٤ – المنتخب من غريب كلام العرب لكراع النمل– تحقيق د: محمد العمرى– ص٦٤٦– جامعة أم القرى– ط١– ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

وذكر الرازى أنَّ:" الْمَأْتَمَ عِنْدَ الْعَرَبِ نِسَاءٌ يَجْتَمِعْنَ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْجَمْعُ (الْمَآتِمُ)، وَعِنْدَ الْعَامَّةِ: الْمُصِيبَةُ، يَقُولُونَ: كُنَّا فِي مَأْتَمِ فُلَانٍ، وَالصَّوَابُ كُنَّا فِي مَنَاحَةِ فُلَانٍ"(١).

ونقل ابن منظور أنَّ:" المَأْتَمَ فِي الأَصل: مُجْتَمَعُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي الغَمِّ والفَرَح، ثُمَّ خصَّ بِهِ اجْتِمَاعَ النِّسَاءِ لِلْمَوْتِ، وَقِيلَ: هُوَ الشَّوابُّ منهنَّ لَا غَيْرَ، وَالْمِيمُ زَائِدَةٌ، الْجَوْهَرِيُّ: المَأْتم عِنْدَ الْعَرَبِ: النِّساء يَجْتَمِعْنَ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ؛ وَقَالَ أَبو حَيَّة النُّمَيْرِيّ(٢):

رَمَتْهُ أَناةٌ مِنْ رَبيعةِ عامِرٍ نَؤُومُ الضُّحى فِي مَأْتَمٍ أَيّ مَأْتَمِ

يُرِيدُ فِي نِساء أَي نِساء، فَجَعَلَ المأْتم النِّسَاءَ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ النِّياحة...، وَالْجَمْعُ المآتِم، وَهُوَ عِنْدَ العامَّة المصيبة، يَقُولُونَ: كُنَّا فِي مَأْتَمِ فُلَانٍ، وَالصَّوَابُ أَن يُقَالَ: كُنّا فِي مَناحة فُلَانٍ، قَالَ ابْنُ بَرِّيٍّ: لَا يَمْتَنِعُ أَن يقَع المأْتَم بِمَعْنَى: المناحةِ، والحزْن، والنَّوْحِ، والبُكاءِ؛ لأَن النِّسَاءَ لِذَلِكَ اجْتَمَعْنَ، والحُزْن هُوَ السَّبَبُ الْجَامِعُ...، وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ(٣):

فَما ابْناكِ إِلا ابنٌ مِنَ النَّاسِ، فاصْبِري فَلن يُرْجِع المَوْتَى حَنِينُ المَآتِمِ

---

١ – مختار الصحاح للرازى– ص١٣.

٢ – البيت من الطويل وهو في ديوانه– تحقيق د: يحيى الجبورى– ص٧٥– منشورات وزارة الثقافة– دمشق– ١٩٧٥م، جاء في اللسان:" الأَصمعي: الأَناةُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي فِيهَا فُتُورٌ عَنِ الْقِيَامِ وتأَنٍّ" ينظر: اللسان: ١٤/٥٠ ، وربيعة عامر: يقصد قبيلة الشاعر عامر بن صعصعة.

٣ – البيت من الطويل وهو في ديوانه– تحقيق أ: على فاعور– ص٥٣٥– دار الكتب العلمية– بيروت– ط١– ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، والشاعر يعزِّى زوجته في أن ابنيها كالآخرين عند الموت، ولن يُجديها البكاء، ينظر: شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوى– ٢/٣٩٦.

فَهَذَا كُلُّهُ فِي الشَّرِّ والحُزْن، وَبَيْتُ أَبِي حَيَّةَ النُّمَيْرِيِّ فِي الْخَيْرِ، قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَن المأْتَم مشتقٌّ مِنَ الأَثْمِ فِي الخُرْزَتَيْنِ، وَمِنَ المرأَة الأَتُوم، وَالْتِقَاؤُهُمَا أَنَّ المأْتَم النِّسَاءُ يَجْتَمِعْنَ ويَتقابلن فِي الْخَيْرِ والشرِّ"(١).

من خلال ما سبق يتضح أنَّ هذا اللفظ (المأتم) كانت دلالته عامة على الاجتماع، ثم خُصِّصَتْ هذه الدلالة؛ لتدلَّ على اجتماع الحزن، أو اجتماع النساء في الحزن، والنوح، والبكاء، والخير، والشر، قال الشهاب الخفاجى:" وهذا ما ذكره كثير من أهل اللغة، وارتضاه "ابن بري" على أنه لو كان عامًا فاستعماله من بعض أفراده بقرينة لا يعد خطأ، حتى ذهب بعض أهل الأصول إلى أنه ليس بمجاز أيضًا، وفي "الأساس" تقول: ما حضرت المأتم، وإنما حضرت المأتم، وهو جماعة النساء من الأتم، وهو القطع والفتق، وقد غلب على جماعتهن في المصائب"(٢).

٢- لفظ: (التبتل):

في حَدِيثُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " رَدّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التَّبَتُّل عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ" أَرَادَ تَرْكَ النِّكَاحِ(٣).

وَمِنْهُ:" لَا رَهْبانِيَّةَ وَلَا تَبَتُّلَ فِي الْإِسْلَامِ"

قال ابن الأثير:" التَّبَتُّل: الِانْقِطَاعُ عَنِ النِّسَاءِ وتَرْك النِّكَاحِ وَامْرَأَةٌ بَتُول مُنْقَطِعة عَنِ الرِّجَالِ لَا شهوةَ لَهَا فِيهِمْ. وَبِهَا سُمّيت مَرْيَمُ أَمُّ الْمَسِيحِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

---

١ - لسان العرب لابن منظور ١٢/ ٣، وينظر: تاج العروس ٣١/ ١٨٢.

٢ - شرح درة الغواص للخفاجي – تحقيق: عبد الحفيظ فرغلى- ص٥١١- دار الجيل- بيروت- ط١- ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣ - الحديث في صحيح البخارى ٤/٧، وصحيح مسلم ٢/ ١٠٢٠، وسنن الدارمى- تحقيق: حسين سليم- ٣/ ١٣٨٥- دار المغنى- السعودية- ط١- ١٤١٢هـ/ ٢٠٠٠م.

وَسُمِّيَتْ فاطمةُ البَتُول لِانْقِطَاعِهَا عَنْ نِسَاءِ زَمَانِهَا فضْلًا ودِينًا وحَسَبًا، وَقِيلَ: لِانْقِطَاعِهَا عَنِ الدُّنيَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى"(١).

يتضح من كلام ابن الأثير أنَّ لفظ التبتُّل معناه الانقطاع إلى عبادة الله تعالى عمومًا، ثم خُصِّصَ معناه للدلالة على ترك النكاح والانقطاع عن النساء، فقد ذكر الخليل أنَّ:" التَبَتُّل الانقطاع إلى اللهِ تعالى، أي أخلَصَ إليه إخلاصًا، والبَتُول: كل امرأةٍ تَنْقَبِضُ عن الرجال فلا حاجة لها فيهم ولا شَهوة، ومنه التَبَتُّل وهو تَرْكُ النِّكاح"(٢).

وقال الهروى:" وقوله تعالى: "وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلا" (٣) قال ابن عرفة: أي انفرد له في طاعته، وأفرِدها له، والتبتل عند العرب: التفرد، وقال الأزهري: معناه: انقطِع إليه، والتبتّل: القطع، وقد تبتل تبتلًا، وبتل يبتل تبتيلًا، وصدقة بتة أي بتلة: منقطعة من جميع المال إلى سبيل الله عز وجل، وفي حديث سعيد: (ردَّ رسول الله ﷺ التبتُّل على عثمان بن مظعون)، يعني: الانقطاع عن النساء، وترك النكاح، ثم استعير(٤) للانقطاع إلى الله ﷻ، وقال الليث: البتول: كل امرأة منقطعة عن الرجال، لا شهوة لها فيهم"(٥).

---

١ – النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير١/٩٤.

٢ – العين ٨/ ١٢٤.

٣ – سورة المزمل: ٨.

٤ – نوع الاستعارة في الفعل هنا: استعارة تبعية، وهى: ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال، والصفات المشتقة منها، وكالحروف بناء على دعوى أن الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفا، ينظر: مفتاح العلوم للسكاكى– تحقيق: نعيم زرزور– ص ٣٨٠– دار الكتب العلمية– ط٢– ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٥ – الغريبين في القرآن والحديث للهروى ١/ ١٣٩.

وذكر الرازى أيضًا أنَّ:" (بَتَلَ) الشَّيْءَ أَبَانَهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَبَابُهُ ضَرَبَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: طَلَّقَهَا بَتَّةً وَ(بَتْلَةً)، وَ(الْبَتُولُ) مِنَ النِّسَاءِ: الْعَذْرَاءُ الْمُنْقَطِعَةُ مِنَ الْأَزْوَاجِ، وَقِيلَ: هِيَ الْمُنْقَطِعَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الدُّنْيَا، وَ(التَّبَتُّلُ): الِانْقِطَاعُ عَنِ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ، وَكَذَا (التَّبْتِيلُ)" (١).

وجمع ابن منظور الخلاصة فى ذلك، فقال:" والبَتُول مِنَ النِّسَاءِ: الْمُنْقَطِعَةُ عَنِ الرِّجَالِ لَا أَرَبَ لَهَا فِيهِمْ، وَبِهَا سُمِّيت مريمُ أُمُّ المسيح، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَقَالُوا لِمَرْيَمَ العَذْراء: البَتُول والبَتِيل لِذَلِكَ، وَفِي التَّهْذِيبِ: لِتَرْكِهَا التَّزْوِيجَ، والبَتُول مِنَ النِّسَاءِ: العَذْراء الْمُنْقَطِعَةُ مِنَ الأَزواج، وَيُقَالُ: هِيَ الْمُنْقَطِعَةُ إِلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الدُّنْيَا، والتَّبَتُّل: تَرْكُ النِّكَاحُ والزهدُ فِيهِ وَالِانْقِطَاعُ عَنْهُ، التَّهْذِيبُ: البَتُول كُلُّ امرأَة تَنْقَبِضُ مِنَ الرِّجَالِ لَا شَهْوَةَ لَهَا وَلَا حَاجَةَ فِيهِمْ، وَمِنْهُ التَّبَتُّل وَهُوَ تَرْكُ النِّكَاحِ.

والتَّبَتُّلُ: الِانْقِطَاعُ عَنِ النِّسَاءِ وَتَرْكُ النِّكَاحَ، وأَصل البَتْلِ القَطْع، وَسُئِلَ أَحمد بْنُ يَحْيَى عَنِ فَاطِمَةَ رِضْى اللَّهِ عَنهَا، بِنْتِ سَيِّدِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَ قِيلَ لَهَا البَتُول؟ فَقَالَ: لِانْقِطَاعِهَا عَنْ نِسَاءِ أَهل زَمَانِهَا وَنِسَاءِ الأُمة عَفَافًا وَفَضْلًا وَدِينًا وَحَسَبًا، وَقِيلَ: لِانْقِطَاعِهَا عَنِ الدُّنْيَا إِلى اللَّهِ ﷻ، وامرأَة مُبَتَّلَة الخَلْق أَي: منْقطعة الخَلْق عَنِ النِّسَاءِ لَهَا عَلَيْهِنَّ فَضْلٌ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الأَعشى(٢):

مُبَتَّلَــــةِ الخَلْــــقِ مِثْــــلِ المَهَــــا ةِ لمْ تَرَ شَمْسـاً ولَـا زَمْهَرِيـرا

---

١ – مختار الصحاح للرازى – ص٢٩.

٢ – البيت من المتقارب وهو في ديوانه– شرح وتعليق د: محمد حسين– ص٩٥– مكتبة الآداب بالجمامير– دون طبعة، وفيه: مبتلة الخلق متناسقة الأعضاء بالغة الحسن، والمهاة: بقرة الوحش، والزمهرير: البرد.

وَقِيلَ: الـمُبَتَّلَة التَّامَّةُ الخَلْقِ..." (١).

ولا يفوتنا في هذا المقام ذكرَ بعضٍ من أقوال أهل التفسير في هذا اللفظ، فقد ذكر الطبرى تأويل العلماء فيه، قائلًا:" الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: **"وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلا"** [المزمل: ٨] يَقُولُ: وَانْقَطِعْ إِلَيْهِ انْقِطَاعًا لِجَوَائِحِكَ وَعِبَادَتِكَ دُونَ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ غَيْرِهِ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: تَبَتَّلْتُ هَذَا الْأَمْرَ، وَمِنْهُ قِيلَ لِأُمِّ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ: الْبَتُولُ؛ لِانْقِطَاعِهَا إِلَى اللَّهِ، وَيُقَالُ لِلْعَابِدِ الْمُنْقَطِعِ عَنِ الدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ: قَدْ تَبَتَّلَ، وَمِنْهُ الْخَبَرُ الَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : أَنَّهُ نَهَى عَنِ التَّبَتُّلِ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ"(٢).

وذكر الإمام الرازى قولًا شاملًا في بيان هذا اللفظ، فقال:" وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **"وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلا "** فَفِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: اعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ الْمُفَسِّرِينَ فَسَّرُوا التَّبَتُّلَ بِالْإِخْلَاصِ، وَأَصْلُ التَّبَتُّلِ فِي اللُّغَةِ الْقَطْعُ، وَقِيلَ لِمَرْيَمَ: الْبَتُولُ؛ لِأَنَّهَا انْقَطَعَتْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْعِبَادَةِ، وَصَدَقَةٌ بَتْلَةٌ مُنْقَطِعَةٌ مِنْ مَالِ صَاحِبِهَا، وَقَالَ اللَّيْثُ: التَّبْتِيلُ تَمْيِيزُ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ، وَالْبَتُولُ: كُلُّ امْرَأَةٍ تَنْقَبِضُ مِنَ الرِّجَالِ، لَا رَغْبَةَ لَهَا فِيهِمْ، إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ لِلْمُفَسِّرِينَ عِبَارَاتٌ، قَالَ الْفَرَّاءُ: يُقَالُ لِلْعَابِدِ إِذَا تَرَكَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ قَدْ تَبَتَّلَ أَي: انْقَطَعَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: التَّبَتُّلُ رَفْضُ الدُّنْيَا مَعَ كُلِّ مَا فِيهَا وَالْتِمَاسُ مَا عِنْدَ اللَّهِ...؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: وَتَبَتَّلْ أَي: انْقَطِعْ عَنْ كل ما سواه

---

١ – لسان العرب ١١/ ٤٣.

٢ – تفسير الطبري المسمى جامع البيان – تحقيق د: عبد الله بن عبد المحسن– ٢٣/ ٣٧٧– دار هجر– ط١– ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

إليه والمشغول بِطَلَبِ الْآخِرَةِ غَيْرُ مُتَبَتِّلٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، بل التبتل إلى الآخرة والمشغول بعبادة اللَّهِ مُتَبَتِّلٌ إِلَى الْعِبَادَةِ لَا إِلَى اللَّهِ...

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الْوَاجِبُ أَنْ يُقَالَ: وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبَتُّلًا، أَوْ يُقَالُ: بَتِّلْ نَفْسَكَ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا، لَكِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَذْكُرْهُمَا وَاخْتَارَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ الدَّقِيقَةَ، وَهِيَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالذَّاتِ إِنَّمَا هُوَ التَّبَتُّلُ، فَأَمَّا التَّبْتِيلُ فَهُوَ تَصَرُّفٌ، وَالْمُشْتَغِلُ بِالتَّصَرُّفِ لَا يَكُونُ مُتَبَتِّلًا إِلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْمُشْتَغِلَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَا يَكُونُ مُنْقَطِعًا إِلَى اللَّهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ أَوَّلًا مِنَ التَّبْتِيلِ حَتَّى يَحْصُلَ التَّبَتُّلُ، فَذَكَرَ التَّبَتُّلَ أَوَّلًا إِشْعَارًا بِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ بِالذَّاتِ، وَذَكَرَ التَّبْتِيلَ ثَانِيًا إِشْعَارًا بِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ، ولكنه مقصودٌ بالغرض"(١).

وذكر الإمام القرطبي الفرق بين التبتُّل والتبتيل، فقال:" قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا) التَّبَتُّلُ: الِانْقِطَاعُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَيِ انْقَطِعْ بِعِبَادَتِكَ إِلَيْهِ، وَلَا تُشْرِكْ بِهِ غَيْرَهُ، يُقَالُ: بَتَلْتُ الشَّيْءَ أَيْ قَطَعْتُهُ...، وَمِنْهُ مَرْيَمُ الْبَتُولُ لِانْقِطَاعِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيُقَالُ لِلرَّاهِبِ: مُتَبَتِّلٌ؛ لِانْقِطَاعِهِ عَنِ النَّاسِ، وَانْفِرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ...، وَفِي الْحَدِيثِ النَّهْيُ عَنِ التَّبَتُّلِ، وَهُوَ الِانْقِطَاعُ عَنِ النَّاسِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَقِيلَ: إِنَّ أَصْلَهُ عِنْدَ الْعَرَبِ التَّفَرُّدُ، قَالَهُ ابْنُ عَرَفَةَ، وَالْأَوَّلُ أَقْوَى لِمَا ذَكَرْنَا، وَيُقَالُ: كَيْفَ قَالَ: تَبْتِيلًا، وَلَمْ يَقُلْ تَبَتُّلًا؟ قِيلَ لَهُ: لِأَنَّ معنى تبتَّل بتَّل نفسه، فجئ بِهِ عَلَى مَعْنَاهُ مُرَاعَاةً لِحَقِّ الْفَوَاصِلِ...، وَلَكِنَّ مَعْنَى الْآيَةِ: انْقَطِعْ عَنِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ وَعَنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ: مَعْنَاهُ: أَخْلِصْ لَهُ الْعِبَادَةَ، وَلَمْ يُرِدِ التَّبَتُّلَ، فَصَارَ التَّبَتُّلُ مَأْمُورًا بِهِ فِي الْقُرْآنِ، مَنْهِيًّا عَنْهُ فِي السُّنَّةِ، وَمُتَعَلِّقُ الْأَمْرِ غَيْرُ مُتَعَلِّقِ النَّهْيِ، فَلَا يَتَنَاقَضَانِ، وَإِنَّمَا بُعِثَ لِيُبَيِّنَ

---

١ – تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٣٠/ ٦٨٧– دار إحياء التراث العربي– بيروت– ط٣– ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، فَالتَّبَتُّلُ الْمَأْمُورُ بِهِ: الِانْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ، وَالتَّبَتُّلُ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ: هُوَ سُلُوكُ مَسْلَكَ النَّصَارَى فِي تَرْكِ النِّكَاحِ وَالتَّرَهُّبِ فِي الصَّوَامِعِ، لَكِنَّ عِنْدَ فَسَادِ الزَّمَانِ يَكُونُ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمًا يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفتن..."(١).

من خلال ما سبق يتضح أنَّ لفظ (التبتل) ذكره علماء اللغة، والتفسير، وأصحاب المعاجم، أنَّ معناه: الانقطاع إلى عبادة الله تعالى وحده دون غيره، ثم استعير على سبيل التخصيص إلى الدلالة على الانقطاع عن النكاح، وهذا ما ذكره ابن الأثير، متَّبِعًا فيه آراء العلماء الذين سبقوه.

٣- لفظ (الحج):

فِي حَدِيثِ الحَجِّ «أيُّها النَّاسُ قَدْ فُرِض عَلَيْكُمُ الحَجَّ فحَجُّوا»(٢).

قال ابن الأثير:" الحَجُّ فِي اللُّغَةِ: القَصْد إِلَى كلِّ شَيْءٍ، فخصَّه الشَّرع بقَصْدٍ مُعَيَّنٍ ذِي شُرُوطٍ مَعْلُومَةٍ، وَفِيهِ لُغَتان: الفَتْح والكسْر"(٣).

ذكر ابن الأثير أنَّ لفظ (الحجّ) كان يدلُّ على القصد إلى كل شيءٍ، ثم خُصِّصت دلالته شرعًا؛ للدلالة على قصد بيت الله الحرام، قال السيوطى في المزهر تحت باب:" في العام المخصوص، وهو ما وُضع في الأصل عامًا ثم خُصّ في الاستعمال ببعض أفراده – مثاله عزيز– وقد ذكر ابن دريد أنَّ الحجَّ أصله: قصْدُ الشيء وتجريدك له، ثم

---

١ – تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن– تحقيق: أحمد البردونى، إبراهيم أطفيش– ١٩/ ٤٤– دار الكتب المصرية– القاهرة– ط٢– ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٢ – الحديث في صحيح مسلم ٩٧٥/٢، ومسند أحمد ٣٥٥/١٦.

٣ – النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣٤٠/١.

خُصّ بقَصْدِ البيت، فإن كان هذا التخصيص من اللغة صلح أن يكون مثالًا فيه، وإن كان من الشرع لم يصلح؛ لأنَّ الكلام فيما خصته اللغة لا الشَّرْع"(١).

وجاء في اللسان:" الحَجُّ: القصدُ، حَجَّ إلينا فلانٌ أَي قَدِمَ، وحَجَّه يَحُجُّه حَجًّا: قَصَدَهُ، وحَجَجْتُ فُلَانًا واعتَمَدْتُه أَي قَصَدْتُهُ، ورجلٌ محجوجٌ أَي مَقْصُودٌ، وَقَدْ حَجَّ بَنُو فُلَانٍ فُلَانًا، إذا أَطالوا الِاخْتِلَافَ إِلَيْهِ...، قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: يَقُولُ يُكْثِرُونَ الِاخْتِلَافَ إليه، هَذَا الأَصل، ثُمَّ تُعُورِفَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْقَصْدِ إِلى مَكَّةَ للنُّسُكِ والحجِّ إِلى الْبَيْتِ خَاصَّةً، تَقُولُ حَجَّ يَحُجُّ حَجًّا، والحجُّ قَصْدُ التَّوَجُّه إِلى الْبَيْتِ بالأَعمال الْمَشْرُوعَةِ فَرْضًا وسنَّة؛ تَقُولُ: حَجَجْتُ البيتَ أَحُجُّه حَجًّا إذا قَصَدْتَهُ، وأَصله مِنْ ذَلِكَ"(٢).

يتضح من خلال ما سبق أنَّ لفظ (الحج) كان يدل على القصد عمومًا، ثم خصصت دلالته على قصد بيت الله الحرام بُغية الحجّ، وهذا ما ذكره ابن الأثير، وعلماء اللغة وأصحاب المعاجم.

٤- لفظ (القذف):

فِي حديث: "إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِف فِي قُلُوبِكُمَا شرًّا"(٣) أَيْ يُلْقِي ويُوقِع، والقَذْف: الرَّمْيُ بقُوّة.

وَفِي حَدِيثِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ "أَنَّهُ قَذَف امْرَأَتَهُ بشَرِيك".

---

١ - المزهر ١/ ٣٣٢.

٢ - لسان العرب ٢/ ٢٢٦.

٣ - الحديث في صحيح البخارى ٨٢/٤، وصحيح مسلم ١٧١٢/٤، وسنن ابن ماجه ٦٥٧/٢، ومسند أحمد ٤٣٣/٤٤.

قال ابن الأثير:" القَذْف هَاهُنَا: رَمْيُ الْمَرْأَةِ بِالزِّنَا، أَوْ مَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ، وَأَصْلُهُ الرَّمْي، ثُمَّ استُعْمِل فِي هَذَا الْمَعْنَى حَتَّى غَلَب عَلَيْهِ"(١).

ذكر ابن الأثير أنَّ لفظ (القذف) كان يدُلُّ على الرمى بقوة، ثم غلب عليه التخصيص ليدُلَّ على رمى المرأة بالفاحشة، حتى جاء في الشريعة كذلك فيما يُعرف بباب حدِّ القذف.

قال أستاذنا د: محمد جبل بأنَّ: "القَذْفَ: الرَمْي بقوة، القَذْف: الرمي بالحجارة، وقَذَفَ بالشيء: رَمَى به، **"أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ "** (٢) عبر عن وضعه في التابوت بالقذف؛ لشدة تعلقها به كأنها تنزعه من نفسها، وكذلك **"فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ"** (٣)، قال: المعنى المحوري دَفْع بغلظ إلى مسافة بعيدة، كالسفينة في الماء بجريها مع ضخامتها"(٤).

وقال أبو حيان عند تفسيره لهذا اللفظ:" وَالْقَذْفُ: الرَّمْيُ بِدَفْعٍ وَاعْتِمَادٍ، وَيُسْتَعَارُ لِمَعْنَى الْإِلْقَاءِ...، قَالَ قَتَادَةُ: يَقْذِفُ بِالْحَقِّ: يُبَيِّنُ الْحُجَّةَ وَيُظْهِرُهَا، وَقَالَ ابْنُ الْقُشَيْرِيِّ: يُبَيِّنُ الْحُجَّةَ بِحَيْثُ لَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، وَأَنَا مُسْتَمْسِكٌ بِمَا يُقْذَفُ إِلَيَّ مِنَ الْحَقِّ، وَأَصْلُ الْقَذْفِ: الرَّمْيُ بِالسَّهْمِ، أَوِ الحصا، وَالْكَلَامِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَقْذِفُ

---

١ – النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير٤/٢٩.

٢ – سورة طه: ٣٩.

٣ – سورة طه: ٣٩.

٤ – المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم– د: محمد حسن جبل– ٤/ ١٧٥٣– مكتبة الآداب– القاهرة– ط١– ٢٠١٠م.

الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ بِالْحَقِّ هُوَ الْمَفْعُولُ، فَالْحَقُّ هُوَ الْمَقْذُوفُ مَحْذُوفًا، أَيْ يَقْذِفُ، أَيْ يُلْقِي مَا يُلْقِي إِلَى أَنْبِيَائِهِ من الوحي والشرع..." (١).

يتضح من خلال ما سبق أنَّ لفظ (القذف) كان يطلق استعمالُه على الرمى عمومًا، ثم غلبَ استعمالُهُ على رمى المرأة بالفاحشة، وقوله: (حتى غَلَب عليه) إشعار بتخصيص دلالته وتضييقها عليه، بحيث إذا أطلق لفظ القذف انصرف الذهن إلى اتهام المرأة في عرضها، كما ذكر ابن الأثير من حديث هلال السابق.

٥- لفظ (الهجرة):

في حديث: "لَا هِجْرَةَ بَعْد الفَتْح، ولكِنْ جهادٌ ونِيَّة"(٢).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: "لَا تَنْقَطِع الْهِجْرَةُ حتَّى تَنْقَطِعَ التَّوبَة"(٣).

قال ابن الأثير:" الهِجْرة فِي الأصْل: الاسْم مِنَ الْهَجْرِ، ضِدّ الوَصْلِ، وَقَدْ هَجَرَهُ هَجْراً وهِجْرَاناً، ثُم غَلَب عَلَى الخُرُوج مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ، وتَركِ الْأُولَى للثَّانية، يُقال مِنْهُ: هَاجَرَ مُهَاجَرَةً(٤).

ذكر القرطبى عند تفسيره لهذا اللفظ أنَّ:" الْهِجْرَةَ مَعْنَاهَا: الِانْتِقَالُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وَقَصْدُ تَرْكِ الْأَوَّلِ إِيثَارًا لِلثَّانِي، وَالْهَجْرُ ضِدَّ الْوَصْلِ، وَقَدْ هَجَرَهُ هَجْرًا وَهِجْرَانًا، وَالِاسْمُ الْهِجْرَةُ، وَالْمُهَاجَرَةُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ تَرْكُ الْأُولَى لِلثَّانِيَةِ، وَالتَّهَاجُرُ التَّقَاطُعُ،

---

١ - البحر المحيط في التفسير لأبى حيان- تحقيق: صدقى محمد - ٨/ ٥٦٢- دار الفكر- بيروت- ط١- ١٤٢٠هـ.

٢ - الحديث في صحيح البخارى٤/١٥، وصحيح مسلم ٣/ ١٤٨٨، ومسند أحمد ٣/٤٤٨.

٣ - الحديث في مسند أحمد ٢٨/١١١، وسنن الدارمى ١/ ١٦٣٤.

٤ - النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير٥/٢٤٤.

وَمَنْ قَالَ: الْمُهَاجَرَةُ الِانْتِقَالُ مِنَ الْبَادِيَةِ إِلَى الْحَاضِرَةِ فَقَدْ أَوْهَمَ، بِسَبَبِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ الْأَغْلَبَ فِي الْعَرَبِ، وَلَيْسَ أَهْلُ مَكَّةَ مهاجرين..." (١).

يتضح من ذلك أنَّ لفظ (هجر) كانت دلالته عامة على الانتقال من موضعٍ إلى موضعٍ، ثم غلب على الخروج من أرضٍ إلى أرضٍ على سبيل التخصيص بعد الإسلام، وهو تخصيصٌ شرعيٌّ، فصارت الهجرة الخروج من بلد الكفر إلى بلد الإيمان، ومنها الهجرة التي هاجرها النبي ﷺ وأصحابه، وكل هذا تخصيص لدلالة اللفظ.

وأكتفى هنا بذكر هذه النماذج للتخصيص الدلالى؛ لأنتقل بعد ذلك إلى الفصل الثالث، وهذا جدولٌ يوضح الألفاظ المدروسة، وبيانها على النحو الآتى:

م	اللفظة المدروسة
١	المأتم
٢	التبتل
٣	الحج
٤	القذف
٥	الهجرة

١ - تفسير القرطبي ٣/ ٥٠.

الفصل الثالث: انتقال مجال الدلالة (تغير مجال الاستعمال).

ويقصد بانتقال الدلالة، أي: انتقال اللفظ من معنًى إلى معنى آخر بطرق، قال فندريس:" ترجع أحيانًا التغيرات المختلفة التي تصيب الكلمات من حيث المعنى إلى ثلاثة أنواع: التضييق، والاتساع، والانتقال، فهناك تضييقٌ عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص، وهناك اتساعٌ في الحالة العكسية، أي عند الخروج من معنى خاص إلى معنى عام، وهناك انتقالٌ عندما يتعادل المعنيان، أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص، كما في حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال، أو من السبب إلى المسبب، أو من العلامة الدالة إلى الشيء المدلول عليه إلخ، أو العكس.

ولسنا في حاجة إلى القول بأن الاتساع والتضييق ينشآن من الانتقال في أغلب الأحيان، وأن انتقال المعنى يتضمن طرائق شتى، يطلق عليها النحاة أسماء اصطلاحية: الاستعارة، وإطلاق البعض على الكل، أو المجاز المرسل بوجه عام، أو المجاز المرسل بعلاقة الشبه، أو غيره عند عدم وجود اسم للشيء المنقول إليه إلخ"(١).

ومن أهم طرق انتقال المعنى: الاستعارة، أي: المجاز الذي علاقته المشابهة، والمجاز المرسل الذي تكون علاقته غير المشابهة: كالسببية، والحالية، والمحلية، والجزئية، والكلية، ويختلف هذا النوع عن سابقيه؛ لأن دلالة الألفاظ فيه تنتقل من مجالٍ إلى آخر، وهى لا تنكمش فيتضاءل المحيط الذي تتحرك فيه بعد اتساعٍ وعمومٍ، ولا يتحول مجالُها كذلك من ضيقٍ وخصوصيةٍ إلى تعميمٍ وشمولٍ لما ليس لها من قبل(٢).

---

١ – اللغة لجوزيف فندريس– تعريب: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص– ص٢٥٦– مكتبة الأنجلو المصرية–١٩٥٠م.

٢ – علم الدلالة العربى د: فايز الداية– ص٣١٤ – دار الفكر المعاصر – بيروت – ط٢– ١٩٩٦م.

وقال د: عبد الكريم جبل:" ويتم هذا الانتقال الدلالى على سبيلين هما:

أ: الاستعارة، وذلك حين تكون العلاقة بين المدلولين هى المشابهة.

ب: المجاز المرسل، وذلك حين يكون الانتقال بين المدلولين لعلاقة غير المشابهة.

ويعدّ انتقال الدلالة أهم أشكال تغير المعنى؛ أولاً: لتنوعه، وثانيًا: لاشتماله على أنواع المجازات القائمة على التخيلات"(١).

هذا وقد وردت نماذج لهذا الانتقال الدلالى في كتاب النهاية لابن الأثير، ومنها ما يأتي:

١- لفظ (رَمَلَ):

فِي حَدِيثِ أُمِّ مَعْبَد «وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِينَ».

وَمِنْهُ حَدِيثُ جَابِرٍ «كَانُوا فِي سَرِيَّة وأَرْمَلُوا مِنَ الزَّاد» .

وَمِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ «فِيمَ الرَّمَلَانُ والكشْفُ عَنِ المناكِب وَقَدْ أطَّأ اللَّهُ الْإِسْلَامَ؟»(٢).

قال ابن الأثير:" أَيْ: نَفِدَ زادُهم، وأصلُه مِنَ الرَّمْلِ، كأنَّهم لَصِقوا بالرَّمْل، كَمَا قِيلَ للفَقِير التَّرِبُ.

وَحَكَى الْحَرْبِيُّ فِيهِ قَوْلًا غَرِيبًا قَالَ: إِنَّهُ تَثْنِيَة الرَّمَل، وَلَيْسَ مَصْدرا، وَهُوَ أَنْ يَهُزَّ منْكبيه وَلَا يُسْرِع، والسَّعى أَنْ يُسْرِع فِي الْمَشْيِ، وَأَرَادَ بِالرَّمَلَيْنِ الرَّمَلَ وَالسَّعْيَ، قَالَ: وَجَازَ أَنْ يُقَالَ لِلرَّمَلِ وَالسَّعْيِ الرَّمَلَانِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا خَفَّ اسْمُ الرَّمَلِ وَثَقُلَ اسْمُ السَّعْيِ غُلِّبَ الأخَفُّ فَقِيلَ: الرَّمَلَانِ، كَمَا قَالُوا: القَمَران، والعُمَران، وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْ ذَلِكَ

---

١ - فى علم الدلالة د/ عبد الكريم جبل- ص٢٤٢- دار المعرفة الجامعية- ١٩٩٦م.

٢ - الحديث في مسند أحمد ١/٤٠٥، وسنن ابن ماجه ٤/١٧٨.

الْإِمَامِ كَمَا تَرَاهُ، فَإِنَّ الْحَالَ الَّتِي شُرِع فِيهَا رَمَلُ الطَّوَافِ، وَقَوْلَ عُمَر فِيهِ مَا قَالَ يَشْهَدُ بِخِلَافِهِ؛ لأنَّ رمَل الطَّواف هُوَ الذَّي أمَر بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ فِي عُمْرة القَضَاء"(١).

ذكر ابن الأثير أنَّ لفظ (رمل) يدلُّ على نفاد الزاد، وعلى الفقير التَّرِب، وعلى هز المنكبين دون الإسراع، وذكر الخليل أنَّ:" الرَّمْلَ: معروفٌ، والجميع: رمال، والقطعة منه: رملة، وأَرْمَلَ القَوْمُ: فني زادُهم...، والرَّمَلانُ والرَّمَل واحدٌ، وهو فَوْقَ المِشْي ودون العَدْو، والرَّمَل: ضَرْبٌ من الشِّعْر يَجِيءُ على: فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن"(٢).

وجاء في اللسان:" الرَّمْل: نَوْعٌ مَعْرُوفٌ مِنَ التُّرَابِ، وَجَمْعُهُ الرِّمَال، وَالْقِطْعَةُ مِنْهَا رَمْلَة؛ ابْنُ سِيدَهْ: وَاحِدَتُهُ رَمْلة، وَبِهِ سُمِّيَتِ المرأَة، وَهِيَ الرِّمَال والأَرْمُلُ.

والرَّمَل، بِالتَّحْرِيكِ: الهَرْولة، ورَمَلَ يَرْمُلُ رَمَلًا: وَهُوَ دُونَ الْمَشْيِ، وَفَوْقَ العَدْو، وَيُقَالُ: رَمَلَ الرَّجلُ يَرْمُلُ رَمَلانًا، ورَمَلًا إِذا أَسرع فِي مِشيته وهزَّ مَنْكِبَيْهِ، وَالطَّائِفُ بِالْبَيْتِ يَرْمُلُ رَمَلانًا اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ ﷺ، وبأَصحابه...، ورَمَلْتُ بَيْنَ الصَّفا والمرْوة رَمَلًا ورَمَلانًا، وَفِي حَدِيثِ الطَّوَافِ: رَمَلَ ثَلَاثًا ومَشَى أَربعًا...

ابْنُ سِيدَهْ: الرَّمَل مِنَ الشِّعْر كُلُّ شِعْرٍ مَهْزُولٍ غَيْرِ مؤتَلِف الْبِنَاءِ، وَهُوَ مِمَّا تُسَمِّي الْعَرَبُ مِنْ غَيْرِ أَن يَحُدُّوا فِي ذَلِكَ شَيْئًا، قَالَ: وَعَامَّةُ المجْزوء يَجْعَلونه رَمَلًا، كَذَا سُمِعَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ ابْنُ جِنِّي: قَوْلُهُ وَهُوَ مِمَّا تُسَمِّي الْعَرَبُ، مَعَ أَن كُلَّ لَفْظَةٍ وَلَقَبٍ اسْتَعْمَلَهُ العَروضيُّون فَهُوَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، تأْويله إِنما اسْتَعْمَلَتْهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي اسْتَعْمَلَهُ فِيهِ العَروضيُّون.

---

١ – النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير٢/ ٢٦٥.

٢ – العين ٨/ ٢٦٦.

وَفِي حَدِيثِ أُم مَعْبَد: [وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلينَ مُسْنتين]، قَالَ أَبو عُبَيْدٍ: المرْمِلُ الَّذِي نَفِدَ زَادُهُ، وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبي هُرَيْرَةَ: [كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاة فأَرْمَلْنا وأَنْفَضْنا](١)، وَمِنْهُ حَدِيثُ أُم مَعْبَدٍ، أَي نَفِد زَادُهُمْ، قَالَ: وأَصله مِنَ الرَّمْل، كأَنهم لَصِقوا بالرَّمْلِ، كَمَا قِيلَ: لِلْفَقِيرِ التَّرِبُ، وَرَجُلٌ أَرْمَل وامرأَة أَرْمَلَة: مُحْتَاجَةٌ..." (٢).

ويتضح من خلال ما سبق يتضح أنَّ الرَّمَل وضع فى الأصل للإسراع فى المشي وهز المنكبين، ثم استعمل فى الحج، واستعمل كضرب من العروض في الشعر، واستعمل فى نفاد الزاد، وللفقير المحتاج، وفى المطر القليل، والرمل: خطُوط تكون في قوائم البقَرة الوحشية تخالف سائر لونها، كما قال بذلك الجوهرى(٣).

والعلاقة التى تجمع بين هذه المعانى هى المشابهة، وهى سمةٌ من سمات التطور الدلالى، إذ المعنى الأصلى حسِّىٌّ، وهو تحريك المنكبين فى المشى، ثم استعمل عند علماء العروض وغيرهم، وهذا معنوى، والمعنى الحسى أسبق فى الوجود من المعنوى، مما يتيح استعمال هذا اللفظ عن طريق انتقال المجال الدلالى.

٢- لفظ (الحُشّ):

فِي حديث: "إِنَّ هَذِهِ الحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ"(٤).

قال ابن الأثير:" يَعْنِي الكُنُف ومَواضع قَضاء الْحَاجَةِ، الْوَاحِدُ حَشٌّ بِالْفَتْحِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الحَشِّ: البُسْتَان؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا كَثِيرًا مَا يَتَغوّطون فِي البسَاتِين.

---

١ - الحديث في مسند أحمد ١٥/١٤٢.

٢ - لسان العرب ١١/ ٢٩٤، وينظر: تاج العروس ٢٩/ ٩٩.

٣ - الصحاح ٤/ ١٧١٣.

٤ - الحديث في مسند أحمد ٣٢/٣٨.

وَمِنْهُ حَدِيثُ عُثْمَانَ: "أَنَّهُ دُفِن فِي حَشِّ كَوْكَب" وَهُوَ بُسْتان بظاهر المدينة خارج البَقيع.

وَمِنْهُ حَدِيثُ طَلْحَةَ: "أَدْخَلُونِي الحَشَّ فوَضَعُوا اللُّجَّ عَلَى قَفَيَّ" ويُجْمَع الحَشِّ- بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ- عَلَى حُشَّان.

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَحْلى فِي حُشَّان".

وَفِيهِ "نَهى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُؤتى النِّسَاءُ فِي مَحَاشِّهِنَّ" هِيَ جَمْعُ مَحَشَّة، وَهِيَ الدُّبر، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَيُقَالُ أَيْضًا بِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ، كَنى بالمِحَاشِّ عَنِ الأدْبار، كما يُكَنَّى بالحُشُوش عن مواضع الغائط"(١).

ذكر ابن الأثير أنَّ لفظ (حشَّ) في الأصل تدلُّ على البُستان، ثم استُعمل عن طريق المجاز كنايةً عن الكُنُف، ومواضع قضاء الحاجة، وعن الدُّبُر، والحُشّ في الأصل البستان، ثم سمي به الكنيف؛ لأنهم كانوا يقضون حاجاتهم في البساتين، فلما اتخذت الكُنف، وجعلوها خلفًا عنها أطلقوا عليها هذا الاسم، وقد أشار إلى ذلك أيضًا أبو بكر الأنباري(٢)، والأزهري(٣)، والزمخشري(٤)، والزبيدي(٥).

قال أبو الحسن:" ومنه الحَشُّ للبستان وحُشٌّ، لغتان، وكانوا يَتَغَوَّطُونَ في البساتين، فكثر ذلك عندهم حتى سَمَّوْا الكَنِيفَ حُشًّا، وجمعه حُشُوشٌ"(٦).

---

١ – النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير١/ ٣٩٠.

٢– الزاهر في معاني كلمات الناس ١/ ٢٨٧.

٣– تهذيب اللغة ٣/ ٢٥٤.

٤– أساس البلاغة ١/ ١٩١.

٥– تاج العروس ١٧/ ١٤٦.

٦– المنتخب من كلام العرب – ص.٦٤٥

وقال ابن عمر الأصبهانى في ضبط لفظ (الحش):" يَعْنِي الكُنُفَ والمخارِجَ، الوَاحِد: حَشٌّ بالفَتْح، وأصلُ الحَشِّ: حائِطٌ فيه نَخْل، ويُجْمَع أيضًا حُشَّان، كبَطن وبُطْنان، وقد تُضَم حَاؤُه، فإذا استُعْمِل في الكَنِيف فبِالفَتْح لا غَيْر، سُمِّى للجمع فيه، وكُلُّ شىءٍ جَمعتَه فقد حَشَشْتَه"(١).

وذكر الفيومى أنَّ:" الْحَشَّ الْبُسْتَانُ، وَالْفَتْحُ أَكْثَرُ مِنْ الضَّمِّ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: يُقَالُ لِبُسْتَانِ النَّخْلِ: حَشٌّ، وَالْجَمْعُ حُشَّانٌ وَحِشَّانٌ، فَقَوْلُهُمْ: بَيْتُ الْحُشِّ مَجَازٌ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَقْضُونَ حَوَائِجَهُمْ فِي الْبَسَاتِينِ، فَلَمَّا اتَّخَذُوا الْكُنُفَ، وَجَعَلُوهَا خَلْفًا عَنْهَا أَطْلَقُوا عَلَيْهَا ذَلِكَ الِاسْمَ، قَالَ الْفَارَابِيُّ: الْحُشُّ الْبُسْتَانُ، وَمِنْ ثَمَّ قِيلَ لِلْمَخْرَجِ: الْحُشُّ"(٢).

من خلال ما سبق يتضح أنّ العلاقة التي سوّغت انتقال دلالة اللفظ هي المجاز، وعلاقته: المكانية، حيث انتقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر مجازى، ومن ثَمَّ فالاستعمال المجازى كان سببًا في تطور هذا اللفظ، وانتقال معناه الأصلى وتعدّد دلالته.

٣- لفظ (الحَقْو):

فِي حديث: «أَنَّهُ أعْطَى النِّساء اللَّاتِي غَسَّلْن ابنَتَه حَقْوَه وَقَالَ: أشْعِرْنَها إيَّاه»(٣).

قال ابن الأثير:" أَيْ إزارَه، وَالْأَصْلُ فِي الحَقْوِ مَعْقِد الإزَار، وجَمْعه: أَحْقٍ وأَحْقَاء، ثُمَّ سُمِّي بِهِ الْإِزَارُ للمُجاورة، وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ"(٤).

٦- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ١/ ٤٥٤.

٢ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/ ١٣٧.

٣ - الحديث في صحيح البخارى ٢/٧٣، وصحيح مسلم ٢/ ٦٤٨، سنن النسائى ٤/٢٨.

٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٤١٧.

فَمِنَ الْأَصْلِ حَدِيثُ صِلَةِ الرَّحم «قَالَ: قَامَتِ الرَّحِمُ فأخذَتْ بِحَقْو الرَّحْمَنِ» لما جعل الرَّحم شَجْنَة مِنَ الرَّحْمَنِ اسْتعار لَهَا الاسْتِمْساك بِهِ، كَمَا يَسْتَمْسك القرِيب بِقَرِيبه، والنَّسِيب بِنَسيبه، والحَقْو فِيهِ مَجاز وتَمْثِيل، ومنه قولهم: عُذْتُ بحَقْو فُلان إِذَا اسْتَجرْتَ بِهِ واعْتَصَمتَ.

وَمِنَ الفَرْع حَدِيثُ عُمَرَ «قَالَ لِلنِّسَاءِ: لَا تَزْهَدْن في جَفاء الحَقْو» أي لا تَزْهَدْن فِي تَغْلِيظِ الْإِزَارِ وثَخانَتِه ليكونَ أسْتَرَ لَكُنّ.

ذكر ابن الأثير أنَّ لفظ (الحقو) الْأَصْلُ فِيه مَعْقِد الإزَار، ثم توسَّعوا فيه حتى سمُّوا الإزار حقوًا؛ تسميةً للحال باسم المحل، ثُمَّ سُمِّي بِهِ الْإِزَارُ للمُجاورة، وقال بذلك أيضًا ابن منظور(١)، والفيومى(٢)، والزبيدي(٣).

من خلال ما سبق يتضح أنّ علاقة المجاورة هي التي سوّغت انتقال دلالة اللفظ، حيث انتقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر مجازى، ومن ثَمَّ فالاستعمال المجازى كان سببًا في تغير دلالة الحقو.

٤- لفظ (الدِّيمة):

في حديث: فَقَالَتْ: "كَانَ عملُه دِيمَةً"(٤) الدِّيمَةُ: المطَرُ الدائمُ فِي سُكُونٍ، شَبَّهت عَمَلَه فِي دوامِه مَعَ الاقْتِصادِ بِدِيمَةِ المطرِ.

٢- لسان العرب (١٤/ ١٩٠)

٣- المصباح المنير ١/١٤٥.

٤- تاج العروس (٣٧/ ٤٥٤)

٤ - الحديث في صحيح البخارى ٩٨/٨، وصحيح مسلم ١/ ٥٤١، ومسند أحمد ٤٠/ ٣٢٦.

وَمِنْهُ حَدِيثُ حُذَيْفَةَ وَذَكَرَ الفتَن **فَقَالَ: "إِنَّهَا لآتِيَتُكم دِيَمًا"** أَيْ إِنَّهَا تملأُ الأرضَ فِي دَوامٍ، ودِيَمٌ جَمْعُ دِيمَةٍ: المطرُ.

وَفِي حَدِيثِ جُهَيش بْنِ أَوْسٍ **"وَدَيْمُومَةٍ سَرْدَح"** هِيَ الصَّحْراءُ البعيدةُ وَهِيَ فَعْلُولة، مِنَ الدوامِ: أَيْ بعيدةُ الأرْجاء يَدومُ السَّيرُ فِيهَا، وياؤُها مُنْقَلِبَةٌ عَنْ وَاوٍ، وَقِيلَ هِيَ فَيْعَلُولَةٌ، مِنْ دَمَمْتُ القِدْرَ إِذَا طَلَيتَها بالرَّمادِ: أَيْ أَنَّهَا مُشْتَبِهَةٌ لَا عَلَمَ بِهَا لِسَالِكِهَا(١).

ذكر ابن الأثير أنَّ لفظ (ديمة) يدُلُّ على المطر، والصحراء البعيدة التى يدوم فيها السير، أى يستمر، ثم أطلقت على كل شيءٍ مستمر، قَالَ أَبُو عبيد:" قَالَ الْأَصْمَعِي وَغَيره: قَوْلهَا: دِيمة أصل الدِّيمة الْمَطَر الدَّائِم مَعَ سُكُون قَالَ لبيد(٢):

باتَتْ وأسْبَلَ وَاكفٌ مــن ديمــةٍ يُروِى الخَمائِلَ دائمــا تَسْــجامُها

فَأخْبر أَن الدِّيمة الدَّائِم، قَالَ أَبُو عبيد: فشبَّهَتْ عَائِشَة عمله فِي دَوَامه مَعَ الاقتصاد، وَلَيْسَ بالغلو بديمة الْمَطَر، ويروى عَن حُذَيفة شَبيه بِهَذَا حِين ذكر الْفِتَن، يَعْنِي: أَنَّهَا تملأ الأَرْض مَعَ دوَام، قَالَ امْرُؤ الْقَيْس(٣):

دِيْمَــة هَطْــلاءُ فِيهَــا وَطَــفٌ طَبَقُ الأَرْض تجرى وتدر "(٤).

---

١ – النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٤٨.

٢ – البيت من الكامل وهو في ديوانه– اعتنى به حمدو طمَّاس– ص١١١– دار المعرفة– بيروت– ط١– ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، الواكف: القَطر، تسجامها، سجَّمت السحابة مطرها تسجيمًا، وتَسجَامًا إذا صبَّتهُ، ينظر: ١٢/ ٢٨١.

٣ – البيت من الرمل وهو في ديوانه– – ص ١٠٢، هطلاء: غزيرة، الوطف: الاسترخاء، جاء في اللسان:" يُقَالُ: غَيْثٌ طَبَقٌ أَي عامٌّ وَاسِعٌ. يُقَالُ: هَذَا مَطَرٌ طَبَقُ الأَرض إِذا طَبَّقها" ١٠/٢١٠.

٤ – غريب الحديث للقاسم بن سلام ٤/ ٣١١.

وذكر الرازى أنَّ:" (الدِّيمَة) الْمَطَرُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ رَعْدٌ وَلَا بَرْقٌ، أَقَلُّهُ ثُلُثُ النَّهَارِ، أَوْ ثُلُثُ اللَّيْلِ، وَأَكْثَرُهُ مَا بَلَغَ مِنَ الْعِدَّةِ، وَالْجَمْعُ (دِيَمٌ) ثُمَّ يُشَبَّهُ بِهِ غَيْرُهُ، وَمَفَازَةٌ (دَيْمُومَةٌ) أَيْ دَائِمَةُ الْبُعْدِ"(١).

وجاء في اللسان:" والدِّيمةُ: مَطَرٌ يَكُونُ مَعَ سُكُونٍ، وَقِيلَ: يَكُونُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ أَو سِتَّةً، وَقِيلَ: يَوْمًا وَلَيْلَةً أَو أَكثر، وَقَالَ خَالِدُ بْنُ جَنْبَةَ: الدِّيمةُ مِنَ الْمَطَرِ الَّذِي لَا رَعْدَ فِيهِ وَلَا بَرْقَ تَدُومُ يَوْمَها، وَالْجَمْعَ دِيَمٌ، أَي دَائِمَةَ الْمَطَرِ..." (٢).

من خلال ما سبق يتضح أنَّ لفظ (ديمة) أصله المطر الضعيف، فهو دون الهطْل، وقد انتقلت دلالته عن طريق المجاز على الاستمرار، وعلاقة المشابهة هى التي سوّغت انتقال دلالة اللفظ من الدلالة على المطر الدائم، إلى الدلالة على الشيء المستمر بجامع المشابهة في كل منهما، ووافقه في ذلك كثير من علماء اللغة وأصحاب المعاجم.

٥- لفظ (الغَوْغَاء):

فِي حَدِيثِ عُمَرَ "قَالَ لَهُ ابْنُ عَوْف: يَحْضُرك غَوْغَاء النَّاس"(٣).

قال ابن الأثير:" أَصْل الغَوْغَاء: الجَرادُ حِين يَخِفُّ للطَّيَرَانِ، ثُمَّ اسْتُعِير لِلسِّفَلة مِنَ النَّاس والمتَسَرِّعين إِلَى الشَّرِّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الغَوْغَاء: الصَّوتِ والجَلَبَة، لكَثْرة لغَطِهم وصِياحِهم"(٤).

---

١ - مختار الصحاح - ص١١٠.

٢ - لسان العرب ١٢/ ٢١٣.

٣ - الحديث في مسند أحمد ٧٢/٧.

٤ - النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٣٩٦.

ذكر ابن الأثير أنَّ أصل الغوغاء: الجراد حين يخف للطير، ثم استعير للسفلة من الناس، والمتسرعين إلى الشر، ويجوز أن يكون بمعنى الجلبة؛ لكثرة لَغَطهم وصياحهم، وعلاقة المعنى الجامعة بين هذه المعانى هى المشابهة.

وذكر الأزهرى تحديد معنى الغوغاء، فقال:" أَبُو عبيد عَن أبي عُبَيْدَة: الجرادُ أول مَا يكون سروةٌ، فإذا تحرّك فَهُوَ دبًا قبل أَن تنبتَ أجنحته، ثمَّ يكون غوغاءً، قَالَ: وَبِه سمي الغَوْغاءُ من النَّاس، قَالَ: والغَوْغاءُ أَيْضًا شَيْء شَبيه بالبعوض، إِلَّا أَنه لَا يعضُّ، وَلَا يُؤْذِي وَهُوَ ضعيفٌ، وَقَالَ الْأَصْمَعِي: إِذا احمرَّ الجرادُ، فانسلخ من الألوان كلهَا، وَصَارَ إِلَى الْحمرَة فَهُوَ الغَوْغاءُ"(١).

يتضح من ذلك أنَّ لفظ (الغوغاء) يدلُّ على الجراد، ثم نقلت دلالته على السفلة من الناس، والمتسرعين إلى الشر، والصوت والجلبة عن طريق الاستعارة بجامع المشابهة في كل منهم.

هذا وهناك نماذج أخرى لهذا المجال في كتاب النهاية لابن الأثير، وقد نصَّ على انتقال دلالتها إما بطريق المجاز الذي علاقته المشابهة، وإما بطريق المجاز الذي علاقته غير المشابهة، وهذا جدولٌ يبين الألفاظ المدروسة هنا، على النحو الآتى:

م	الألفاظ المدروسة
١	الرّمَل
٢	الحشّ
٣	الحقو
٤	الدَّيمة
٥	غوغاء

١ – تهذيب اللغة ٨/ ١٨٩، وينظر: المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ٢/ ٥٨٧، ولسان العرب ١٥/ ١٤٢.

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على من جاء بالهدى والبينات ﷺ، وبعد.

فقد يسَّر الله ﷻ لى كتابةَ هذا البحثِ، والانتهاءَ منه على صورته التى انتهى عليها الآنَ، وقضيتُ فى إنجازه فترةً ليست بالقصيرة، ولا باليسيرةِ، تملَّكنى خلالها سرورٌ نابعٌ من حُبِّ مُعايشتى لحديث رسول الله ﷺ وللُّغة العربية- لغة القرآن الكريم-

وبعدُ، فهذا البحث محاولة على الطريق للبحث في قضية التطور، وأثره على الدلالة في ضوء علم اللغة، وقد أصبح التطور الدلالى جزءًا لا يتجزأُ من العربية، ولم لا؟ وقد أصاب اللغة على مستوياتها المختلفة: صوتًا، وبنيةً، وتركيبًا، ودلالة، ومن أهم العوامل المؤثرة في التطور: التوسع، أو التضييق، أو المجاز، الذى كان له نصيبٌ كبيرٌ، حيث إنه من العوامل الهامة في قضية التطور، فالمجاز يعطى مرونةً، واتساعًا، وهذا مما تمتاز به العربية دون غيرها من اللغات.

هذا وقد أحببتُ أن أتناول قضية التطور في غريب الحديث عامةً، وعند ابن الأثير خاصةً؛ نظرًا لأنَّ التطور الدلالىَّ يعتبر من الأهمية بمكانٍ في المجال الدلالى، واللسانيات الحديثة، ويكشف عن جانبٍ مهمٍّ من حياة اللغة التى لا يمكن أن تعيش إلاّ باستعمالها وتداولها على ألسنة أهلها والنّاطقين بها، ووصْل حاضرها بماضيها، ويحتاج المتكلمون بها – مع تطور الحياة وزيادة الاكتشافات والاختراعات- إلى ابتكار ألفاظٍ جديدةٍ يُعبِّرون بها عن معانٍ جديدةٍ لم تكن معروفة من قبل، وبذلك تكون هذه الحاجة من أهم العوامل التى تؤدى إلى تطور الدلالة، فالمتكلمون بلغةٍ من اللغات عندما يستجِدُّ لديهم معنًى جديدًا لم يكن معروفًا من قبل، يحاولون تعيين دالٍّ له من ذخيرتهم اللفظية القديمة، وقد أدَّت كثرة استعمال ألفاظٍ دون غيرها إلى تطورها،

فالاستعمالُ من أكثر أسباب التطور الدلالى أهميةً، وهذا شائعٌ فى كلِّ اللغات؛ لأنَّ العوامل الاجتماعية والتغيُّرات التى تواكبها اللغات تفرض ذلك.

وإنَّ كلَّ لغةٍ من اللغات تتطور باستمرارٍ، وهذا التطور يقعُ فى كلِّ حينٍ، والتطور سنةٌ من سنن الله فى الكون، واللغة باعتبارها كالكائن الحى عرضة لهذا التطور؛ لذا كان موضوع هذا البحث بعنوان: (**التطور الدلالى وأثره في الحديث النبوى "كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير أنموذجًا"**) ، وأسأل اللهَ أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به والمسلمين، وأن يكون ضياءً على الطريق المستقيم، ونواةً لرفعة اللغة العربية، ووقد استخلصتُ لهذا البحث **بعض النتائج**، وهى على النحو الآتى:

أولًا: اللغة كائنٌ حىٌّ تخضعُ للارتقاء والتطور كغيرها من اللغات والكائنات، تؤثرُ وتتأثر بغيرها، فلا بدَّ أن تأخذ وتتطور؛ لمسايرة ركب الحضارة.

ثانيًا: المحافظة على اللغة العربية وسلامتها، والاهتمام بفصاحتها، فلا يستحسنُ الإكثار من الدخيل، والمولَّد إلا بقدر الحاجة إلى ذلك، علمًا بأنَّ ذلك من التطور والرقىّ، وليس من الانحطاط.

ثالثًا: قضية التطور الدلالى جديرة بالدراسة، والبحث، والإفراد؛ نظرًا لما لها من أثرٍ على الألفاظ ودلالتها.

رابعًا: كتب السنة عامة، وكتب الغريب خاصةً ساهمت في الارتقاء باللغة وتطورها، من خلال الشروح والدراسات للمفردة الحديثية، مما أدَّى إلى توسُّعِ دائرة الدرس اللغوى، والذى يؤكدُ قول النبى ﷺ :" أوتيت جوامع الكلم".

خامسًا: ربط بعض الألفاظ الواردة في الأحاديث النبوية بأنواع التطور الدلالى، وأبرزها: التخصيص، والتعميم، والمجاز.

سادسًا: شخصية ابن الأثير، وكتابه: النهاية في غريب الحديث، هما من الأهمية بمكان ومحل الدراسة التي تُسفِرُ عن شخصٍ لغويٍّ، بارعٍ، متقنٍ، ولم لا؟

وقد اجتمع لابن الأثير قَدْرٌ غزيرٌ من نصوص الحديث والأثر، تحتاج إلى بيان ما فيها من غريبٍ، ولا ريب أنَّ الخبرة الواسعة في الصناعة المعجمية منحت ابن الأثير معالم كل طريقة ومحاسنها، وقد حَدَّد وجهته، وهي ترتيب المادة وَفْقَ الحروف الهجائية.

وكتاب "النهاية في غريب الحديث والأثر" من المراجع اللغوية التي كان لها أثر في مَدِّ المعاجم العربية بمادتها الغزيرة، ويكفي أن نعلم أنَّ معجم "لسان العرب" لابن منظور قد أقام كتابه على أُمَّاتٍ من المصنفات اللغوية، وكان منها (النهاية) لابن الأثير، حيث يقول في مقدمته:" فرأيت ابن الأثير الجَزَري، قد جاء في ذلك بالنهاية، وجاوز في الجودة حدَّ الغاية"، ثم يقول:" وليس لي في هذا الكتاب -يعني اللسان- فضيلةٌ أَمُتُّ بها، ولا وسيلةٌ أتمسَّك بسببها، سوى أني جمعتُ فيه ما تفرَّق في تلك الكتب من العلوم"(١).

التوصيات:

أولًا: الاهتمام بقضايا الدلالة، لما لها من أثرٍ بالغٍ في فهم اللغة، وتطورها، وسُبُل الارتقاء بها.

ثانيًا: الاهتمام بدور المجامع اللغوية على مستوى العالم العربى خاصةً؛ لضبط الأصول اللغوية، والوقوف على مدى أهمية التطور اللغوى في حياتنا اليومية، وفهمًا لنصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

ثالثًا: تفعيل دور الإعلام في نشر الثقافة اللغوية، والتحدث باللغة العربية الفصحى.

رابعًا: اهتمامُ الباحثين والدارسين بقضية التطور الدلالى خاصة؛ لما لها من تأثيرٍ على لغة الفرد والمجتمع.

---

١ - لسان العرب ١/١٨.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١	قال تعالى: وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً	١٠٠	النساء	٤١٦
٢	قال تعالى: فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا	٦	المائدة	٤١٢
٣	قال تعالى: فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ	٣١	المائدة	٤٠٤
٤	قال تعالى: فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا	٢٢	الأعراف	٤٠٤
٥	قال تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ	٢٠١	الأعراف	٤١٨
٦	قال تعالى: أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ	٣٩	طه	٤٣٢
٧	قال تعالى: وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا	٨	المزمل	٤٢٦

فهرس المواد اللغوية

م	المادة	الجذر اللغوى	الصفحة
١	التثويب	ثَوَّب	٣٩٨
٢	التُّحفة	وحف	٤٠١
٣	الاستحمام	حمَّ	٤٠٢
٤	السوأة	سوأ	٤٠٤
٥	الضمد	ضمد	٤٠٦
٦	عقيلة	عقل	٤٠٨
٧	التنطّع	نطع	٤١٠

م	المادة	الجذر اللغوى	الصفحة
٨	التيمم	يمَّم	٤١١
٩	الحنتم	حنتم	٤١٣
١٠	التخوض	خوض	٤١٤
١١	الرغم	رغم	٤١٥
١٢	الطيف	طيف	٤١٨
١٣	المأتم	أتم	٤٢٢
١٤	التبتل	بتل	٤٢٦
١٥	الحج	حجج	٤٣٠
١٦	القذف	قذف	٤٣١
١٧	الهجرة	هجر	٤٣٣
١٨	الرّمَل	رمَل	٤٣٦
١٩	الحشّ	حشا	٤٣٨
٢٠	الحقو	حقا	٤٤٠
٢١	الدَّيمة	ديم	٤٤١
٢٢	غوغاء	غوغ	٤٤٣

فهرس الأبيات الشعرية

م	صدر البيت	قافيته	بحره	قائله	الصفحة
١	تبيتُ الملوكُ على رَغْمِها	تعتبُ	المتقارب	المسيب بن علس	٤١٦
٢	عَقيلةُ أخدانٍ لها لا دَميمةٌ	جأنب	الطويل	امرؤ القيس	٤٠٨
٣	كطودٍ يُلاذ بأركانه	المهرب	المتقارب	النابغة الجعدى	٤١٧
٤	أرى الموت يعْتامُ الكِرام ويصطفى	المتشدد	الطويل	طرفة	٤٠٨
٥	ومَن عَصاكَ فعَاقِبْهُ مُعاقَبةً	ضمد	البسيط	النابغة الذبيانى	٤٠٧
٦	دِيْمَة هَطْلاءُ فِيهَا وَطَفٌ	تدر	الرمل	امرؤ القيس	٤٤٢
٧	مُبَتَّلة الخَلْقِ مِثْل المهَاة	زمهريرا	المتقارب	الأعشى	٤٢٧
٨	فَما ابْنُكِ إلا ابنٌ مِنَ النَّاسِ، فاصْبِري	المآتم	الطويل	الفرزدق	٤٢٤
٩	رَمَتْهُ أَناةٌ مِنْ رَبيعةِ عامِرٍ	مأتم	الطويل	أبو حية النميرى	٤٢٤
١٠	وإن ثوَّبَ الدَّاعى لها يا لخَندفِ	مكرم	الطويل	ذو الرُّمَّة	٤٠٠
١١	باتَتْ وأسْبَلَ وَاكفٌ من ديمَةٍ	تسجامها	الكامل	لبيد	٤٤٣

فهرس المصادر والمراجع

١-أدب الكاتب للصولى- تحقيق: محمد بهجة الأثرى- المطبعة السلفية – مصر- ط١- ١٣٤١هـ.

٢-أساس البلاغة للزمخشرى- تحقيق: محمد باسل - دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٣-الأضداد لابن الأنباري- تحقيق: محمد أبو الفضل- المكتبة العصرية- بيروت- ط١- ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣-أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء- قاسم القونوى- تحقيق/ يحي حسن- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٤-البحر المحيط في التفسير لأبى حيان- تحقيق: صدقى محمد - دار الفكر- بيروت- ط١- ١٤٢٠هـ

٥-التطور الدلالى بين لغة الشعر الجاهلى ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة– عودة خليل عودة– مكتبة المنار– الأردن – ط١ -١٤٠٥هـ /١٩٨٥م.

٦-التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه- د/ رمضان عبد التواب- مكتبة الخانجى- ط٣- ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٧-التعريفات للجرجانى– تحقيق/ إبراهيم الإبيارى– دار الكتاب العربى- ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م.

٨-تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير- دار إحياء التراث العربى- بيروت- ط٣-١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٩-تفسير الطبري المسمى جامع البيان – تحقيق د: عبد الله بن عبد المحسن- دار هجر- ط١- ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٠-تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن- تحقيق: أحمد البردونى، إبراهيم أطفيش- دار الكتب المصرية- القاهرة- ط٢- ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
١١-تهذيب اللغة للأزهرى- تحقيق محمد عوض مرعب— دار إحياء التراث العربى- بيروت- ط١ — ٢٠٠١م.
١٢-التوقيف على مهمات التعريف- زين الدين محمد المناوى- عالم الكتب- ط١- ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
١٣-جمهرة اللغة لابن دريد- تحقيق: رمزى منير- دار العلم للملايين- بيروت- ط١- ١٩٨٧م.
١٤-الجيم للشيبانى — تحقيق: إبراهيم الأبيارى- الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- القاهرة- ط٢- ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
١٥-دلالة الألفاظ د/إبراهيم أنيس- مكتبة الأنجلو المصرية — ط٥- ١٩٨٤م.
١٦-الدلالة والحركة دراسة لأفعال الحركة فى العربية المعاصرة فى إطار المناهج الحديثة- د/محمد داود— دار غريب- القاهرة.
١٧-دور الكلمة فى اللغة- تأليف ستيفن أولمان- ترجمة د/كمال بشر- مكتبة الشباب- القاهرة.
١٨-ديوان أبى حية النميرى- تحقيق د: يحيى الجبورى- منشورات وزارة الثقافة- دمشق- ١٩٧٥م.
١٩-ديوان الأدب للفارابى- تحقيق د/ أحمد مختار عمر- مؤسسة الشعب- القاهرة- ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٢٠-ديوان الفرزدق- تحقيق أ: على فاعور- دار الكتب العلمية- بيروت- ط١- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢١-ديوان المسيّب بن علس- تحقيق د: عبد الرحمن الوصيفى - مكتبة الآداب- ط١- ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٢-ديوان النابغة الجعدى- تحقيق د: واضح الصمد- دار صادر – بيروت- ط١- ١٩٩٨م.

٢٣-ديوان النابغة الذبيانى- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف- ط٢- دون سنة طبع.

٢٤-ديوان امرئ القيس- اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي - دار المعرفة- بيروت- ط٢- ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٤-ديوان ذى الرمة- تحقيق د/عبد القدوس أبو صالح - مؤسسة الإيمان للطباعة- ط١-١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢٥-ديوان طرفة- تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي- دار المعرفة- بيروت- ط١- ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٦-ديوان لبيد- اعتنى به حمدو طمَّاس- دار المعرفة- بيروت- ط١- ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٦-رسالة دكتوراه بعنوان: التصويب اللغوى عند ابن الحنبلى جمعًا ودراسةً- للباحث/ هانى على عبد العزيز أبو العلا- ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

٢٧-الزاهر فى معانى كلمات الناس لابن الأنبارى- تحقيق د/ حاتم الضامن- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط١-١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٨-سنن ابن ماجه تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون- دار الرسالة- ط١- ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٩-سنن الدارمى- تحقيق: حسين سليم- دار المغنى- السعودية- ط١- ١٤١٢هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٠-سنن النسائى – تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة- مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب- ط٢- ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣١-سير أعلام النبلاء للذهبى- تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة- ط٣- ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣٢-شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد- تحقيق محمود الأرناؤوط – دار ابن كثير- دمشق- ط١- ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣٣-شرح درة الغواص للخفاجي – تحقيق: عبد الحفيظ فرغلى- دار الجيل- بيروت- ط١- ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣٤-شرح نخبة الفكر فى مصطلحات أهل الأثر- حققه وعلق عليه محمد نزار تميم- ١/٥٠٤- دار الأرقم- بيروت- دون سنة طبع.

٣٥-شرح نخبة الفكر لابن حجر العسقلانى- شرح/ عبد الكريم الخضير.

٣٦-الصحاح للجوهرى- تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين- بيروت- ط٤- ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣٧-صحيح البخارى- تحقيق جماعة من العلماء- ط١- المطبعة الكبرى الأميرية- مصر- ١٣١١هـ.

٣٨-صحيح مسلم-تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى- دار إحياء التراث العربى- بيروت- دون طبعة.

٣٩-ظاهرة الغرابة في الحديث النبوى – د: عبد الفتاح البركاوى – ط٢- ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٠-علم الدلالة العربى النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية- د/ فايز الداية- دار الفكر المعاصر-بيروت- ط٢- ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٤١-علم الدلالة العربى د: فايز الداية- دار الفكر المعاصر - بيروت - ط٢- ١٩٩٦م.

٤٢-علم الدلالة د/ إبراهيم أبو سكين.

٤٣-علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر- عالم الكتب- ط٦- ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٤٤-علم الدلالة كلود جرمان - ترجمة د/نور الهدى لوشن- جامعة قان يونس- بنغازى- ط١- ١٩٩٧م.

٤٥-علم الدلالة لجون لاينز- ترجمة مجيد عبد الحليم الماشطة وآخَرَين-كلية الآداب- جامعة البصرة -١٩٨٠م.

٤٦-علم اللغة د/ على عبد الواحد وافى- دار نهضة مصر- ط٩ - ٢٠٠٤م .

٤٧-علم اللغة مقدمة للقارئ العربى- محمود السعران- دار الفكر العربى- ط٢- ١٩٩٧م.

٤٨-غريب الحديث لابن قتيبة- تحقيق د: عبد الله الجبورى- مطبعة العانى- بغداد- ط١- ١٣٩٧هـ.

٤٩-غريب الحديث للخطابى- تحقيق د/عبد الكريم الغرباوى- دار الفكر- دمشق- ط١-١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٥٠-غريب الحديث للقاسم بن سلام- تحقيق د: محمد عبد المعيد خان- دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد- الدكن- ط١- ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٥١-غريب الحديث للهروى- تحقيق د: حسين محمد محمد- الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- القاهرة- ط١- ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٥٢-الغريبين في القرآن والحديث للهروى- تحقيق : أحمد فريد المزيدى- مكتبة نزار مصطفى الباز- السعودية- ط١- ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٥٣-الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشرى – تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعرفة – لبنان.
٥٤-فقه اللغة للثعالبى – تحقيق: عبد الرزاق المهدى- دار إحياء التراث العربى- بيروت- ط١- ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
٥٥-فى علم الدلالة د/ عبد الكريم جبل- دار المعرفة الجامعية- ١٩٩٦م.
٥٦-فى علم الدلالة دراسة تطبيقية فى شرح االأنبارى للمفضليات – د/عبد الكريم محمد حسن جبل–دار المعرفة الجامعية – ١٩٩٧م.
٥٧-القاموس المحيط للفيروز آبادى – تحقيق بإشراف/ محمد نعيم العرقسوسى– مؤسسة الرسالة – ط٨-١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٥٨-كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى تحقيق د/ لطفى عبد البديع.
٥٩-كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزى- تحقيق: على حسين البواب- دار الوطن – الرياض- دون سنة طبعة.
٦٠-لسان العرب لابن منظور- دار صادر – بيروت- ط٣- ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
٦١-اللسانيات وأسسها المعرفية- د/عبد السلام المسدى- الدار التونسية للنشر- تونس- ١٩٨٦م.
٦٢-اللغة لجوزيف فندريس- تعريب: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص- مكتبة الأنجلو المصرية- ١٩٥٠م.
٦٣-اللغة والمجتمع د/ على عبد الواحد وافى- دار النهضة- القاهرة- ط١- ١٩٧١م.

٦٤-المجموع المغيث فى غريبى القرآن والحديث لابن عمر الأصبهانى- تحقيق/ عبد الكريم العزباوى- دار المدنى- السعودية- ط١- ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٥-مختار الصحاح للرازى – تحقيق: يوسف الشيخ محمد- المكتبة العصرية- بيروت- ط٢- ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٦٦-مدخل إلى علم الدلالة الحديثة– عبد الحميد جحفة – دار توبقال– ط١- ٢٠٠٠م.

٦٧-المزهر فى علوم اللغة للسيوطى – تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم وآخران– دار الحرم للتراث – ط ٣ .

٦٨- مسند أحمد- تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون- مؤسسة الرسالة- ط١- ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٦٩-المصباح المنير للفيومى- دار الحديث- القاهرة- ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٧٠-المعجم الاشتقاقى المؤصل لألفاظ القرآن الكريم- د/ محمد حسن جبل- مكتبة الآداب- ط١- ٢٠١٠م.

٧١-معجم البلدان لياقوت الحموى- دار صادر- بيروت- ط١- ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٧٢-المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة- مكتبة الشروق الدولية – ط٤- ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٧٣-معجم لغة الفقهاء- محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي- دار النفائس- ط٢- ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٧٤-المغرب فى ترتيب المعرب للمطرزى- تحقيق/ محمود فاخورى، عبد الحميد مختار- مكتبة أسامة بن زيد- حلب- ط١- ١٩٧٩م.

٧٥-مفاتيح الغيب للرازى - دار إحياء التراث العربى — بيروت — ط ٣ - ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٧٦-مفتاح العلوم للسكاكى- تحقيق: نعيم زرزور- دار الكتب العلمية- ط٢- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧٧-مقاييس اللغة لابن فارس- تحقيق: عبد السلام هارون- دار الفكر- ط١- ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧٨-مقدمة علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر- عالم الكتب — ط٦ - ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٧٩-المنتخب من غريب كلام العرب لكراع النمل- تحقيق د: محمد العمرى- جامعة أم القرى- ط١- ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٨٠-منهج ابن الأثير الجزرى في مصنفه: النهاية في غريب الحديث والأثر- د: أحمد محمد الخراط.

٨١-النهاية فى غريب الحديث الأثر لابن الأثير- تحقيق/ طاهر الزاوى، ومحمود الطناحى- المكتبة العلمية- بيروت- ط١-١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٨٢-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان- تحقيق/ إحسان عباس- دار صادر—بيروت— ط١- ١٩٧١م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣٦٧
أهمية الموضوع، وأسباب اختياره	٣٦٩
أهداف البحث، ومنهجه	٣٧٠
الدراسات السابقة	٣٧١
الفصل التمهيدى: التطور الدلالى وأثره في الحديث النبوى	٣٧٤
المبحث الأول: مفهوم التطور، وأسبابه، وأنواعه، ومظاهره	٣٧٤
أسباب التطور	٣٧٩
التطور الدلالى ومظاهره	٣٨٢
المبحث الثانى: مفهوم الغرابة	٣٨٧
التأليف في الغرابة	٣٨٧
المبحث الثانى: ابن الأثير وكتابه النهاية في غريب الحديث والأثر	٣٩٢
الدراسة التطبيقية لألفاظ التطور الدلالى	٣٩٥
الفصل الأول: التعميم الدلالى	٣٩٧
لفظ: التثويب	٣٩٨
لفظ: التحفة	٤٠١
لفظ: الاستحمام	٤٠٢
لفظ: السوأة	٤٠٤
لفظ: الضمد	٤٠٦

الموضوع	الصفحة
لفظ: عقيلة	٤٠٨
لفظ: النطع	٤١٠
لفظ: التيمم	٤١١
لفظ: حنتم	٤١٣
لفظ: الخوض	٤١٤
لفظ: رغم	٤١٥
لفظ: طيف	٤١٨
الفصل الثانى: التخصيص الدلالى	٤٢٢
لفظ: المأتم	٤٢٢
لفظ: التبتّل	٤٢٥
لفظ: الحج	٤٣٠
لفظ: القذف	٤٣١
لفظ: هجر	٤٣٤
الفصل الثالث: انتقال مجال الدلالة	٤٣٥
لفظ: الرمَل	٤٣٦
لفظ: الحُشّ	٤٣٨
لفظ: الحقْو	٤٤٠

الموضوع	الصفحة
لفظ: الدّيمة	٤٤١
لفظ: الغوغاء	٤٤٣
الخاتمة	٤٤٥
فهرس الآيات القرآنية	٤٤٨
فهرس المواد اللغوية	٤٤٨
فهرس المصادر والمراجع	٤٥١
فهرس الموضوعات	٤٥٩